مجلة البحوث الإعلامية

مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الأزهر

داخـــل العـــدد

- تـأثـيـر الإعـلان التليفـزيـونـي بالقنـوات الفضـائيـة العربيـة عـلى السلـوك الاستهـلاكـي للشبـاب الجـامـعـي . د . محمود عبد العاطي مسلم
- الـوسـائـل والأسـالـيـب الاتصـاليـة المستخـدمـة في حمـلات الانتخـابـات النيـابيـة البحـرينية عـام2010م . د. شعـيـب الغبـاشـي
- رؤية القائمين بالاتصال لتأثيرات التكنولوجيا الحديثة على العمل الإذاعي في المحطات الإذاعية المصرية العامة والمتخصصة . د. غادة حسام الدين محمـد
- استـخـدام الأطـفـال ذوي الاحتيـاجـات الخـاصـة للإنـترنـت والاشبـاعـات المتـحققـة منهـا . د. ناصر محمود عبد الفتـاح
- صـورة المـرأه فـي وسـائـل الإعـلام العـربيـة بعـد ثـورات الـربيـع الـعـربـي . د . هـالـة الطلحـاتـى
- اتـجـاهـات شبـاب الجـامعـة نحـو استخـدام مـواقـع التـواصـل الاجتمـاعـي ودورهـا في تـرويـج الشـائعـات . د. سكرة علي حسن البريدي
- دوافع استخدام الشباب السعودي للإنترنت والإشباعات التي تحققها دراسة ميدانية علي عينـة مـن طـلاب جامعة الحدود الشمالية . د. محمد عبد البديع السيد
- معـالجـة الصحـف العربيـة لقيـم التسـامـح ونـشـر ثقافة التواصل مع الآخر دراسة تحليلية فى الفترة من 2011 إلى 2012. د . مجـدى الـداغـر
- قضـايـا مشـاريـع التـخـرج لطـلبـة الإعـلام في جـامـعـة صنـعـاء دراسـة مسـحـيـة . د . عبد الباسط محمد الحطامي
- الخـطـاب الـديـنـي فـي الصـحـف الإسـلامـيـة فـي مصـر بعـد ثـورة 25 ينـايـر . د. عبد الحكـم أبو حطـب
- المسـئـوليـة الاجتمـاعيـة للـقـائـم بـالاتصـال تجـاه قضـايـا الـمـواطنـة . د.منال محمد أبو الحسن
- **Stereotyping Islam on You Tube:A User-Generated Perspective. DR.Marwa Basyouny**
- إشـكاليـة العـلاقـة بيـن الأدب والإصـلاح السياسي- الاجتمـاعي في مجلة (الأستاذ) لعبد الله النديم 1892- 1893م . د. رامـي عطـا صديق
- **Can Social Media Incite Political Mobilization? Dr. Eman Mosharaf**

العدد
الثامن
والثلاثون
يناير 2012

رقم الإيداع بدار الكتب
المصرية
6555

العدد الثامن والثلاثون
أكتوبر 2012 م

مجلة
البحوث الإعلامية

مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الأزهر

رئيس مجلس الإدارة
أ.د . أسامة العبد
رئيس التحرير
أ.د . عبد الصبور فاضل
مديرا التحرير
أ.د . عرفه عامر
أ.د. محمود حماد

الإشراف الفني
أ.د . سامي الكومي

سكرتير التحرير
د. محمد أحمد هاشم

٢١ ٠

المراسلات: توجه المراسلات باسم الدكتور سكرتير التحرير على العنوان التالى : القاهرة ـ جامعة الأزهر ـ كلية الإعلام ت : 00225108256

السعر للنسخة الواحدة: داخل جمهورية مصر العربية 50 جنيها مصريا

هيئــة المحكميــن

أ.د : فـــــاروق أبـــو زيد
أ.د : علـــــى عجـــــوة
أ.د : انشـــراح الشـــــال
أ.د : مـــــــاجى الحلوانى
أ.د : منـــــــى الحديــدى
أ.د : عـــدلى رضـــــــا
أ.د : ســـــامى الشـــريف
أ.د : حســـن عمـــاد مكاوى
أ.د: أشـــــرف صـــــالح
أ.د : شريف درويش اللبان
أ.د : نجـــــــوى كـــامل
أ.د : شعبـــــــان شـــمس
أ.د : جمـــــــال النجـــار
أ.د : سليـــــمان صـــالح
أ.د : عبـــد الصبـور فاضـــل
أ.د : فـــــوزى عبـد الغنى
أ.د : محمـــــود إسمـاعيل

جميع الآراء الواردة فى المجلة تعبر عن رأى أصحابها ولا تعبر عن رأى المجلة

العـدد الثامن والثلاثون ـ أكتوبر 2012 م

إشكالية العلاقة بين الأدب والإصلاح السياسي- الاجتماعي

في مجلة (الأستاذ) لعبد الله النديم 1892- 1893م

إعداد

د. رامي عطا صديق

مدرس الصحافة

المعهد الدولي العالي للإعلام

أكاديمية الشروق

ملخص الدراسة :

اختصت هذه الدراسة بالكشف عن طبيعة العلاقة بين الأدب ودعوة الإصلاح السياسي- الاجتماعي من خلال رصد وتحليل الكتابات الأدبية لعبد الله النديم في مجلة (الأستاذ)، والتي صدرت بالقاهرة عام 1892م، وتوقفت في العام التالي مباشرة، 1893م، وناقش من خلالها موضوعات وقضايا سياسية واجتماعية متنوعة.

كشفت الدراسة عن استخدام النديم لبعض الأشكال الأدبية بهدف توصيل رسائل لها بعد سياسي أو اجتماعي، حيث كان النديم ينشر المقال والشعر والزجل والمحاورات، كما كان يستخدم العامية المصرية إلى جانب اللغة العربية الفصحى، بأسلوب أدبي شائق وجذاب.

وقد أثار النديم على صفحات مجلته الكثير من القضايا السياسية، إلى جانب الاهتمام بمناقشة الكثير من العادات الاجتماعية والسلوكيات السلبية التي سادت بين المصريين آنذاك، داعيًا إلى تجنبها وتفاديها، وهو ما يعكس ارتباط الأدب بالدعوة إلى الإصلاح السياسي- الاجتماعي في الصحافة المصرية، وبالأخص في فترات التضييق على الحريات، حيث كانت الصحف وسيلة مناسبة- ولا تزال- لنشر تلك الرؤى والأفكار.

(1) مقدمة منهجية وإجرائية

(1- 1) موضوع الدراسة وأهميته:

اشتهر عبد الله النديم بأنه صحفي الثورة العرابية وخطيبها الأول، فكان يمثل جهازها الإعلامي على مدار نحو سنتين، 1881- 1882م، وبعد فشل الثورة ووقوع مصر تحت براثن الاحتلال البريطاني اختفى النديم لنحو عشر سنوات، إلى عام 1892م حين تم القبض عليه، وعفى عنه الخديوي توفيق ونفاه للخارج، ثم أصدر الخديوي عباس حلمي "عباس الثاني" (1892- 1914م) قراره بالعفو عنه، بل سمح له ولأخيه، عبد الفتاح، بإصدار مجلة (الأستاذ)، والتي تُعد واحدة من أهم الصحف المصرية التي صدرت في تلك الفترة من تاريخ الوطن، حين كانت البلاد تئن تحت وطأة المحتل البريطاني.

هنا تبرز الحاجة إلى رصد وتحليل كتابات عبد الله النديم في مجلته (الأستاذ)، والتي أخذت طابعًا أدبيًا وإن حملت رسالة اجتماعية- سياسية، حيث عبرت عن موقف سياسي واجتماعي، ما دفع اللورد كرومر- المعتمد البريطاني آنذاك- إلى التدخل لدى الخديوي عباس الثاني لإيقافها ونفي النديم خارج مصر. ومن ثم تساعدنا هذه الدراسة على فهم طبيعة العلاقة بين الأدب والإصلاح السياسي- الاجتماعي.

(1-2) الدراسات السابقة:

ثمة عدة دراسات سابقة، تناولت شخصية عبد الله النديم ومجلة (الأستاذ)، منها:

- **دراسة: عبد المنعم إبراهيم الدسوقى الجميعي: عبد الله النديم ودوره في الحركة السياسية والاجتماعية 1845- 1896** ، اهتمت تلك الدراسة بإلقاء الضوء على حياة النديم منذ نشأته وحتى وفاته مع إبراز نضاله في الحركة الوطنية إلى جانب دوره في المجال الاجتماعي.
- **دراسة: علي عباس علي: عبد الله النديم صحافته وفكره** ، تناولت هذه الدراسة سيرة عبد الله النديم، والعوامل المؤثرة في تكوينه الفكري، بالإضافة إلى الصحف التي أصدرها، والجانب الفني الصحفي والأدبي والمسرحي في صحفه.
- **دراسة: رجاء فؤاد غازي، الآراء التربوية لعبد الله النديم: دراسة تحليلية لكتاباته** ، حاولت

هذه الدراسة الكشف عن الآراء التربوية والأفكار المميزة في فكر النديم، من خلال تسليط الضوء عليه كمفكر تربوي صاحب آراء تربوية وجهها لخدمة الحياة ومساعدة الناس مازجًا بين الفكر بالعمل.

- **دراسة أبو بكر عبد العزيز حسن الشيخ علي: المستويات اللغوية في مجلة الأستاذ تحرير عبد الله النديم: دراسة نصية** ، تناولت تلك الدراسة علم النص بالتطبيق على النصوص الواردة في مجلة (الأستاذ)، والتي شملت: نصوص إرشاد ومنها: نصوص التماس- دفاع- دعاية- خطاب سياسي- كتب التعليم والإرشاد، نصوص المناسبات: العامة والخاصة، نصوص علمية، نصوص أدبية ومنها: الخبر- الكتاب- الدراسة- الرواية- القصة- المسرحية- الشعر.
- **دراسة محمد عبد الحفيظ الباز: موقف الصحافة المصرية من الثورة العرابية في الفترة من 1877 إلى 1882** ، تناولت هذه الدراسة الدور الصحفي لعبد الله النديم أثناء أحداث الثورة العرابية.

(1- 3) مشكلة الدراسة:

تتحدد مشكلة الدراسة في أهمية القيام بدراسة تسعى للكشف عن العلاقة بين الأدب ودعوة الإصلاح السياسي- الاجتماعي، وكيفية تأثر الكتابات ذات الطابع الأدبي في الصحف بالأوضاع الاقتصادية والاجتماعية لمصر. فضلًا عن دور الكتابات الأدبية التي نُشرت بالصحف في النضال الوطني والكفاح السياسي.

(1-4) أهداف الدراسة:

تتحدد أهداف الدراسة في: الكشف عن طبيعة العلاقة بين الأدب والإصلاح السياسي- الاجتماعي، رصد كتابات النديم ذات الطابع الأدبي في مجلة (الأستاذ)، ثم تحليل وتفسير تلك الكتابات.

(1-5) تساؤلات الدراسة:

تمثل تساؤلات الدراسة انعكاسًا لأهدافها، وهي: ما هي طبيعة العلاقة بين الأدب والإصلاح السياسي- الاجتماعي كما بدت في مجلة (الأستاذ)؟ ما هي كتابات النديم الأدبية في (الأستاذ) والتي حملت دعوة للإصلاح السياسي- الاجتماعي؟ وكيف يمكن تفسير وتحليل هذه الكتابات؟

(1- 6) الإطار المنهجي للدراسة:

(1- 6- 1) نوع الدراسة:

على المستوى الزمني هي دراسة تاريخية، وعلى المستوى المعرفي هي دراسة وصفية تحليلية تفسيرية.

(1- 6- 2) المناهج المستخدمة:

تعتمد الدراسة على استخدام "المنهج التاريخي"، وهو المنهج الأكثر ملاءمة لطبيعة الدراسة من حيث انتمائها لحقل تاريخ الصحافة المصرية.

(1- 6- 3) الأدوات المستخدمة:

تستخدم الدراسة أداة "التحليل التاريخي"، والتي تُسمى أيضًا أداة (التحليل الوثائقي)،

وهي أداة ضرورية تُستخدم لتحليل محتويات الأصل التاريخي (الصحف) بالنقد اللازم للتحقق من معاني الألفاظ ومن قصد المؤلف بما كتبه، إلى جانب تحليل الظروف المجتمعية المختلفة التي دُون فيها الأصل التاريخي لإثبات صحة المعلومات المدونة به[i]، والأصل التاريخي، أو الوثيقة الأولية، التي تعنينا في هذه الدراسة، هي صحفية (الأستاذ)، 1892- 1893م، ويفيدنا هنا إجراء النقد الخارجي للصحيفة، من خلال الإحاطة الشاملة بالمُناخ السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي والإعلامي أثناء فترة صدور الصحيفة، إلى جانب إجراء النقد الداخلي لها برصد كل ما يتعلق بالصحيفة من حيث البعد: المجتمعي- الزمني- الاقتصادي- السياسي- الإعلامي- التكنولوجي- البشري[ii].

(1- 7) الإطار الإجرائي للدراسة:

تتناول الدراسة عددًا من القضايا التي ظهرت على صفحات مجلة (الأستاذ)، 1892- 1893م، حيث كان من الصعوبة تناول كافة القضايا التي ظهرت على صفحات المجلة، ومن ثم تتناول الدراسة قضايا: الحفاظ على اللغة العربية- تشجيع الاقتصاد المصري- تدعيم الوحدة الوطنية- انتقاد التعليم الأجنبي.

(2) ثلاثية الأدب والسياسة والصحافة

(2- 1) الأدب والصحافة

ثمة علاقة أصيلة وصلة وطيدة تجمع بين الأدب والصحافة، وهي علاقة قديمة، تعود إلى نشأة الصحافة المصرية، من خلال اهتمام بعض الصحف بنشر بعض الفصول الأدبية على صفحاتها. بل أنه في بواكير عهد مصر بالصحافة وممارسة المصريين لها كانت كلمة "صحفي" تعنى كلمة أديب[iii].

يقول عبد اللطيف حمزة في كتابه "مستقبل الصحافة" والذي خصص الجزء الأول منه عن "الأدب والصحافة": إن "الصحافة أدب غير خالد، وهذا صحيح في جملته وتفصيله. فإن عمل الأدب في كل زمان ومكان إنما هو تصوير النفس البشرية بوجداناتها الكثيرة، وخواطرها التي لا حصر لها. وعمل الصحافة في جوهرها هو الاهتمام بالجماعات البشرية، وتناقل أخبارها، ووصف نشاطها، ثم توجيه هذه الجماعات إلى ما فيه خيرها ومنفعتها، ثم تسليتها، وتوجيه أوقات فراغها آخر الأمر"[iv]، ويضيف أنه "فرضت الصحافة على نفسها واجبًا في غاية الخطورة، هو واجبها نحو الأدب والعلم والفن والثقافة، وشعرت أنها مسئولة أمام قرائها عن تزويدهم بالمعلومات التي يسايرون بها ركب الحضارة الإنسانية ويتمشون بها مع التقدم البشري في كل مجال.. فيا لها من مهمة شاقة أخذتها الصحافة الحديثة على نفسها، أو قل طالبتها الشعوب بها، وأصرت على هذه المطالبة"[v].

لقد اهتمت الصحافة بالأدب، تلبيةً واستجابةً منها لاحتياجات القراء المتعطشة إلى الكتابات الأدبية على مختلف أنواعها وشتى ألوانها. حيث اهتمت الصحف المصرية- منذ نشأتها وعبر مسيرتها- بنشر الكثير من ألوان الأدب، نثرًا وشعرًا، الرواية المسلسلة- القصة القصيرة- الشعر- الزجل، فضلًا عن العناية بنشر المقالات النقدية للأعمال الأدبية. وأصبح الأدب شريكًا أساسيًا على صفحات أية جريدة أو مجلة، عامة أو متخصصة[vi]. لذا اهتم البعض من ملاك الصحف والصحفيين الأوائل بأن يُخصص بابًا للأدب في صحيفته، ينشر فيه ألوان الأدب، ويُرضي أذواق القراء، كما صدرت صحف أدبية متخصصة في مجالات الأدب وفنونه. فعرفت مصر الكثير من المجلات الأدبية والتي تُعتبر "أكثر الصحف الاختصاصية نشاطًا إذ تكون ميدانًا

لنشر إنتاج الأدباء والشعراء والفنانين والقصصيين وهي تتناول نشاط إنتاج الكتب والمسرح والرواية الخ"[vii]، فكان لتلك المجلات الأدبية "أثر واضح في الحياة الأدبية وبخاصة القصصية والمسرحية، حيث كانت مجالًا لنشر القصص المؤلفة والمترجمة، كما كانت مجالًا للنقد الفني المتصل بالقصص والمسرحيات"[viii]. وظهر عدد غير قليل من الأدباء الذين عملوا بالصحافة وارتبطوا بها، منهم: طه حسين- عباس محمود العقاد- محمد حسين هيكل- إبراهيم عبد القادر المازني وآخرين لا يمكن حصرهم في هذا المقام. هؤلاء، وغيرهم، كان لهم دور بارز في إثراء الصحافة المصرية بكتاباتهم وإبداعاتهم الأدبية، مثلما كانت لهم مواقف سياسية بارزة.

كما اهتمت بعض الصحف بربط القراء بالعالم الأوسع من حيث ما يتصل بالحياة الأدبية العالمية، بنشرها كتابات مترجمة لكبار الأدباء العالميين، ونشرها دراسات مطولة عن بعضهم، كما أتاحت الفرصة أمام المترجمين من هؤلاء المتأدبين بأن ينشروا أعمالهم وترجماتهم فيها[ix]، ومن بين مظاهر اهتمام الصحافة بالأعمال الأدبية أيضًا اهتمام بعض المؤسسات الصحفية بإصدار سلسلة روايات بشكل دوري، ومن ذلك مثلًا دار (الهلال) التي أسست سلسة (روايات الهلال) عام 1949م[x].

ومن جانب آخر تأثرت الحركة الأدبية في مصر بالصحافة وتطورها، شكلًا ومضمونًا، ذلك أن الأدب الحديث بعد مروره بالتجارب الصحفية قد اكتسب لنفسه شكلًا جديدًا وقوة جديدة، ونزعة جديدة، كما اكتسب لنفسه أسلوبًا مُخالفًا لأسلوب القدماء، واكتسب لنفسه حيوية جعلته مُحببًا لعدد كبير من جمهور القراء، كما اكتسب لنفسه نزعة لها خطرها وفائدتها في العصر الحديث، وهذه النزعة هي الديمقراطية بدلًا من الأرستقراطية، فانتشر الأدب وكثر عدد مريديه[xi]. وساهمت الصحف بنصيب واضح في الأدب العربي الحديث، حيث كانت الصحف مدرسة أدبية لبعض الأدباء والكتاب، لتُساهم بنصي واضح في إنضاج الحياة الأدبية. وأدى تنامي العمل الأدبي بين الكتاب والصحفيين إلى قيام البعض منهم بإصدار العديد من الجرائد والمجلات، ومن ثم تنامي الصحافة والمشاركة في إصدار الصحف المتنوعة باعتبارها وسيلة لنشر الأفكار والآراء ومنفذًا مهمًا من منافذ نشر الأعمال الأدبية، فإذا كانت الصحافة قد عملت على تنامي العمل الأدبي، فإن تنامي العمل الأدبي قد شجع على إصدار الصحف لتُساهم في ظهور المزيد من الأعمال الأدبية.

ولا تمنع مساحة الاتفاق بين الأدب والصحافة من أن يكون هناك بعض الفروق، ذلك أن الفرق الواضح بين الأدب والصحافة هو أن الأدب ذاتي في أكثره، أما الصحافة فهي غيرية في مجموعها[xii]، وإذا كان من الجائز أن يصطنع الصحفي لغة الأدب الخالص في بعض الأحيان، فإن ليس له أن يُسرف إسراف الأديب في هذا الأمر[xiii].

(2- 2) الأدب والسياسة

ارتبط الأدب- في جانب منه- بالسياسة، حيث عبرت بعض الكتابات الأدبية عن الحالة السياسية. وانتقد الأدباء- مع غيرهم من السياسيين- الأوضاع التي تمر بها البلاد. فقد عرفت مصر الكثير من الشعراء في مجال الكفاح الوطني أثناء فترة الاحتلال البريطاني والنضال ضد قوات الاحتلال البريطاني.

وقد كشف محمد حسين هيكل عن علاقة بين الثورة السياسية وثورة الأدب في التاريخ المصري، سواء الثورة العرابية (1881- 1882م) أو ثورة سنة 1919م، من حيث لغة الكلام ولغة الكتابة، كما أنه ظهرت معركة بين القديم والجديد في الأدب واللغة، واتجه بعض الكُتاب إلى

الأدب القومي، وبالأخص بعد ثورة سنة 1919م، فبعدوا عن المقامات والترسل واهتموا بالقصة والشعر الوطني والشعر التمثيلي، وكان الأدب آنذاك يسير في ثورة توازي الثورة السياسية[xiv]، وهو يذهب إلى أن "عوامل السياسة التي حاولت صرف التيار السياسي في نواح معينة قد حاولت مثل هذه المحاولة في شأن الأدب والكتابة"، فكانت هناك جهود كثيرة بُذلت لهذه الغاية "عاقت سير الحركة الأدبية وحاولت من غير نجاح كبير إفساد اتجاهها"[xv].

ومن ثم فإنه يمكن النظر أحيانًا إلى الأدب باعتباره مصدرًا من مصادر النضال الوطني والكفاح السياسي، ليمثل الأدباء- بما أبدعوه- جزءًا من مسيرة الحركة الوطنية، ليقفوا جنبًا إلى جنب مع غيرهم من الزعماء السياسيين.

(2- 3) الأدب والسياسة والصحافة

كان من آثار ارتباط الأدب بالسياسة ظهور كتابات أدبية ذات أبعاد ورؤى سياسية، وكانت الصحف، على مختلف أشكالها، ما بين جرائد ومجلات، وتنوع مضامينها، ما بين صحف عامة وأخرى متخصصة، تُمثل وسيلة النشر المناسبة هنا، إذ كانت الصحف مجالًا ملاءمًا لنشر تلك الأعمال الأدبية التي عكست الحالة السياسية ورأي الأدباء فيها، وكانت الصحف وسيلة الأدباء الأساسية للتعبير عن رؤاهم وطريقهم لنشر أفكارهم وكتاباتهم الأدبية التي أنتجوها مُتأثرين بالبيئة التي عاشوا فيها وبالمُناخ الذي تواجدوا فيه.

لقد استطاعت بعض الكتابات الأدبية، شعرًا ونثرًا، أن تعبر عن القضايا الاجتماعية والسياسية، وارتبط الأدب بالعمل الوطني، ويمكن هنا مراجعة التراث العلمي في حقل تاريخ الصحافة المصرية، ففي تاريخها، والذي يمتد لما يقرب من قرنين من الزمان، ظهرت صحف ترعى الحركة الوطنية، وقصائد ترعى هذه الحركة، بينما كانت هناك وفي المقابل صحف أخرى أخذت جانب الإنجليز، وشعراء أخذوا جانبهم[xvi].

ويُذكر أنه بعد الاحتلال البريطاني لمصر "نجحت الصحف الموالية للاحتلال في افتعال معارك جانبية واستقطاب بعض الكُتاب للكتابة على صفحاتها، وفي الوقت نفسه تعنتت السلطة مع الصحف غير الموالية لها، مما جعل البعض يحاول تفويت الفرصة على هذا التعنت بإصدار صحف متخصصة تهتم- كما تقول طلبات الترخيص لها- بالأدب- وفروعه من قصة وشعر ومسرح ونقد"[xvii]. فكانت الصحف مُتنفسًا لهؤلاء الأدباء لنشر أعمالهم من الشعر والزجل وكافة صنوف الأدب، لاسيما وأن غالبية الصحف التي صدرت في مصر قد ضمت بين صفحاتها صفحة أو أكثر لنشر الأعمال الأدبية، كما إنها احتضنت بين جنباتها الكثير من الأدباء، واهتمت بنشر نتاجهم الأدبي، إن كان نثرًا أو شعرًا، بالفصحى والعامية على السواء.

وكانت بعض الصحف تصدر بهدف سياسي محدد، حتى وإن اتخذت من الأدب ستارًا لذلك[xviii]. إذ ثمة علاقة بين مساحة الحرية وانتشار الاهتمامات الأدبية في الصحف، ذلك أنه "في بعض المجتمعات، وفي فترات معينة، تحاول الصحافة أن تؤدي واجبها على الوجه الأكمل فتُقابل بمواجهات حادة لا قبل للقائمين عليها بمثلها، ووقتئذٍ تتخذ الصحافة من الأدب ملاذًا ومن القيمة اللغوية للنصوص الإبداعية مجالًا للرمز والخروج من أسر الرقابة بأشكالها المتعددة والمتنوعة التي تبدأ بالتوجيه، مرورًا بالقانون، ووصولًا إلى الرقابة الذاتية التي تُعد أقصى وأقسى أنواع الرقابة"[xix].

يذكر محمد حسين هيكل في كتابه "ثورة الأدب"، في فصل عنوانه "الطغاة وحرية القلم"، أنه "في عصور الظلمة التي تمر بالأمم آنًا بعد آن يعمد الباطشون الطغاة إلى تقييد حرية

القول والكتابة. وفي سبيل هذا التقييد يُصلون أرباب الأقلام حربًا لا رحمة فيها ولا هوادة: فمن إرهاق، إلى سجن، إلى نفي وتشريد. وهم في حربهم هذه يندفعون ضد الكُتاب كاشرة أنيابهم، محماة عيونهم، مفتحة خياشيمهم، أشبه الأشياء بالكواسر المفترسة حين يغريها منظر الدم فيهيج فيها كل غرائزها الوحشية. ولا يهدأ لهم من بعد ذلك بال ولا يطمئن لهم خاطر إلا إذا اطمأنوا إلى أنهم حطموا تلك الأقلام إلى غير عودة إلى الكتابة، وأذلوا نفوسًا حملتها إذلالًا لا قومة لهم من بعده"[xx].

وخلال المسيرة الطويلة للصحافة المصرية فإنه "ارتبط اتساع رقعة الأدب في الصحافة بالضغوط المتتالية عليها، فكلما زاد القسر على صحيفة أو مجلة زادت رقعة الأدب فيها، وقد اتخذ هذا الأدب الرمز مرات أو المغامرة بالتشخيص الواضح مرات أخرى قليلة، ولكنه كان- بشكل عام- النبض الموازي والمعبر عن تفاعلات أهل الثقافة تجاه مجريات الأمور في البلاد"[xxi]. ومن ثم فإن "الصحافة الأدبية ليست- فقط- مجرد واحة وارفة الظلال للتحليق في أجواء الكلمات وآفاقها، ولكنها، في أحايين كثيرة، بوابة خروج من مآزق متعددة: رقابة، وقوانين، وأحكام استثنائية تهدف إلى تحطيم أقلام، وهي ملاذ هؤلاء الواعين الواقفين بدروع أفكارهم في وجه كل جور.. وكانت الصحافة المتخصصة بشكل عام، والأدبية بشكل خاص، معبرًا للخروج من أسر التضييق على الكلمات في أحايين كثيرة"[xxii].

وعلى حد تعبير مرعى مدكور فإنه "لم يكن هناك أديب واحد قد كرس نفسه للأدب بعيدًا عن مجريات الأمور في البلاد، فالمازني وهيكل وشوقي وحافظ والعقاد وطه حسين وغيرهم، كانوا غارقين في السياسة، والأحزاب تعتمد عليهم في الوصول إلى الناس وترديد شعاراتها عبر كتاباتهم، وكان بعض هؤلاء الكُتاب ينتقل من صحيفة إلى صحيفة أخرى ناطقة بلسان الحزب نفسه أو إلى صحف أحزاب أخرى"، ويضيف أنه "رغم عمل هؤلاء الأدباء في الصحافة، فإن جمهور القراء كان يعتبرهم أصحاب أقلام أدبية في المقام الأول، ولهم وزنهم الفكري، رغم عملهم في الصحافة، وقد كان لهؤلاء الأدباء الفضل الأكبر في تحرير التعبير العربي من أسر البديع وتحويله إلى لغة واضحة بعيدة عن التكلف والتصنع، وظهر تأثير ذلك في الأعمال الإبداعية لهؤلاء الرواد: هيكل في (زينب) وطه حسين في (الأيام)"[xxiii].

هنا تكمن العلاقة بين الأدب والسياسة في الصحافة، من حيث اعتبار الأدب مجالًا للكفاح الوطني والنضال السياسي، والصحف وسيلة نشر مناسبة تقوم بتوصيل تلك الرؤى والأفكار لجمهور القراء.

(3) (الأستاذ) عبد الله النديم[xxiv]

(3- 1) النديم

سطع اسم عبد الله النديم، على نحو واضح، خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر، وهو وإن كان ينتمي إلى أصول اجتماعية، بسيطة ومتواضعة، إلا أنه نجح في أن يكون أديبًا متميزًا وكاتبًا اجتماعيًا وخطيبًا مفوهًا وسياسيًا ذائع الصيت في ذلك الوقت. إذ كان النديم "موصوفًا بالنباهة والذكاء ونظم الشعر وكتابة النثر، وسرعان ما شاع ذكره فكاتبه العلماء وطارحه المتأدبون"[xxv].

عمل النديم بالصحافة وبرع في هذا المجال، حيث انضم نحو عام 1879م إلى تحرير جريدتي (مصر) و(التجارة) لصاحبيهما أديب اسحق وسليم النقاش اللذين عرفهما في مجلس

جمال الدين الأفغاني. ثم إنه اشترك معهما، اسحق والنقاش، في تحرير صحيفتي (المحروسة) و(العصر الجديد) اللتين صُرح بهما لسليم النقاش عقب إلغاء جريدتي (مصر) و(التجارة)[xxvi].

أصدر النديم ثلاث صحف خلال مشواره الصحفي، وحسب علي الحديدى فقد "وصل النديم الصحفي الموهوب بصحفه الثلاث إلى قمة هذا الفن فكانت (التنكيت والتبكيت) فريدة في تبويبها وأسلوبها شيئًا جديدًا على الصحافة المصرية، يكتب فيها للعامة والخاصة ويهز بها قلوب قرائها ممن يقرأون وشعور من تُقرأ لهم ممن لا يقرأون. وكانت (الطائف) لسان الأمة وجريدة مجلس النواب والداعية الكبرى للثورة العرابية، صاحبتها من أول أمرها ثم ذهبت معها إلى الحركة فكانت سلاحًا من أسلحة الحرب ضد الأعداء، وكانت مرجع الأخبار للصحف المحلية والأجنبية وصارعت المعارض للحركة الوطنية من هذه وتلك ثم اختفت بهزيمة الثورة. أما (الأستاذ) فكانت حدثًا في الصحافة المصرية جعلها أول أمرها للإصلاح الاجتماعي بأساليبها العام والخاص والمتوسط وللنهضة بالأدب، فتبارى فيها الكتاب والشعراء والزجالون وأشاعت في الأوساط الأدبية حركة مباركة"[xxvii].

ناقش النديم في كتاباته، وعلى صفحات صحفه الثلاث، (التنكيت والتبكيت- الطائف- الأستاذ)، الكثير من القضايا الوطنية والاجتماعية، وتميز في كل ما كتب بروح الأديب، الثائر، اجتماعيًا وسياسيًا. ذلك أنه "كان في أولاها معنيًا بالإصلاح الخلقي والاجتماعي. وفي الثانية معنيًا بالثورة العرابية، وفي الثالثة عاد إلى الإصلاح الاجتماعي مرة أخرى، واهتم إلى جانب ذلك بالإصلاح السياسي"[xxviii]، حيث "اتخذ ميدان الحياة الاجتماعية والسياسية مجالًا لمقالاته. فقد كان يرى أن الإصلاح السياسي يجب أن يصحبه إصلاح اجتماعي، ومن ثم لقيت مقالاته من النجاح ما لفت إليه الأنظار. فقد وجدت صدى في نفوس القراء إذ كانت تعبيرًا عما يعتمل في صدورهم من ثورة مكبوتة"[xxix].

(3- 2) مجلة (الأستاذ)

كان النديم، وبعد عشر سنوات من الهزيمة والاحتلال، أوفى الزعماء لمبادئ الثورة، فواصل جهاده من أجل مصر وأعاد الروح إلى المصريين وأطلق نداء "مصر للمصريين" من جديد[xxx].

يقول إبراهيم عبده "عاد خطيب الثورة وكاتبها ولم يكن بمقدوره أن يكافح من جديد بنفس الأساليب القديمة إلا أنه أصدر صحيفة أسبوعية علمية تهذيبية فكاهية سماها (الأستاذ)"[xxxi]، فقد أراد النديم "أن يحتفظ لنفسه بأرض يتحرك فيها ومجالًا يقول فيه رأيه في الأمور الحاضرة من غير أن يتناولها مباشرة"[xxxii].

هكذا عاد عبد الله النديم من منفاه، ليستقر في مصر عام 1892م، وعقد العزم على أن يبدأ الكفاح من جديد بطريقة يبث من خلالها روح المقاومة في الشعب حتى يستيقظ من مرقده، ولم يجد أمامه سوى الاشتغال بالصحافة للوصول إلى الشعب، إذ كان ممنوعًا من العمل السياسي، كما أنه لم يكن يستطيع الطواف بالبلاد واعتلاء المنابر للخطابة كما كان يفعل من قبل[xxxiii]، ومن ثم فإنه اشترك مع أخيه عبد الفتاح في إصدار مجلة (الأستاذ)، وربما كان يقصد من اسم مجلته أن يكون مُعلمًا للقراء مُوصلًا تقديم أفكاره ورسائله لهم من خلال الصحافة. فكانت (الأستاذ) "صفحة جديدة في باب جهاده"[xxxiv].

والواقع أنه على مدى العشر سنوات التالية للاحتلال البريطاني لمصر فإن الحركة القومية لم تُظهر أية علامة على الحياة، لاسيما وأن بعض المصريين قد صدقوا الوعود

البريطانية الخاصة بالرحيل والجلاء بعد إنقاذ مصر ونشر الديمقراطية بها[xxxv]، ربما باستثناء صحيفة (المؤيد)، لصاحبها الشيخ علي يوسف التي أصدرها سنة 1889م، للرد على (المقطم). ففي أول ديسمبر 1889م استطاع الشيخ علي يوسف بمساعدة الشيخ أحمد ماضي، أن يصدر جريدة (المؤيد) للمطالبة بالحقوق الوطنية، لتُصبح بذلك أولى الصحف التي وقفت من الاحتلال موقف المعارضة من منطلق وطني، فكانت أول جريدة يصدرها مواطن مصري بعد الثورة العرابية، وحسب سليمان صالح فإن "(المؤيد) لم تنشىء الحركة الوطنية ولكن العكس هو الصحيح.. فالحركة الوطنية هي التي أنشأت (المؤيد)"[xxxvi]. وفي تلك الجريدة الوطنية الوليدة تجمع عدد من الأقلام الوطنية الناشئة في البيئة المصرية، كان في مقدمتها مصطفى كامل[xxxvii]. والذي سيصبح له شأن واضح في الحركة الوطنية بعد فترة قليلة من الوقت، حيث كان له الدور الأكبر في الحركة الوطنية المناهضة للاحتلال والمطالبة بالجلاء[xxxviii].

صدرت مجلة (الأستاذ)، وإن كانت تقول جريدة، علمية تهذيبية فكاهية، بمدينة القاهرة في 24 أغسطس 1982م، أسبوعية، تصدر يوم الثلاثاء من كل أسبوع، مديرها عبد الفتاح النديم الإدريسي، ومحررها عبد الله النديم.

كتب عبد الفتاح النديم، في العدد الأول، تحت عنوان (مقدمة)، يوضح الغرض من إصدار المجلة، فيقول "جعلناها خزانة لشوارد العلوم وفوائد الرسوم لا تتقيد ولا تقتصر على موضوع فتنشر ما يحسن نشره ويلذ سماعه من المعقول والمنقول مما لا يطعن في دين ولا يمس شرف شخص ولا يقرب من الأهاجي ولا تتعرض للأمور السياسية الحاضرة أي أنها لا تتكلم في الإدارات والأعمال والعمال سواء في ذلك الداخلية والخارجية وأما فن السياسة من حيث هو فإنه يدخل في موضوعها العلمي فإن علم التاريخ والأخلاق والعادات وتدبير الممالك ووحدة الاجتماع العالمي من الفروع السياسية وهي مستقلة عما يتعلق بالسياسة الإدارية".

وأشار عبد الله النديم، في مقال عنوانه "شكر النعم"، إلى قصة القبض عليه وصدور أمر الخديوي توفيق بسفره إلى الأقطار الشامية، ووفاة توفيق ومجيء عباس الثاني وعفوه عنه، وأفاض النديم في مدح الخديوي توفيق وخليفته الخديوي عباس، وهو أمر له ما يبرره من حيث العفو عنه والسماح بعودته لمصر ثانية. فكانت (الأستاذ) "نصيرة للوطنيين وللخديو عباس"[xxxix]. كما أكد النديم كذلك أن مجلته لن تهتم بموضوعات السياسة، وربما يكون هذا الأمر طبيعيًا في العدد الأول من مجلة، علمية تهذيبية فكاهية، ومن جانب آخر فإننا نميل إلى أن النديم قد اهتم بالموضوعات الاجتماعية كمدخل لقضايا سياسية. ذلك أنه التزم في مجلته "الابتعاد عن الموضوعات السياسية في بداية الأمر، واتجه إلى الخوض في النواحي الاجتماعية بإظهار عيوب المجتمع في محاولة منه لترقية أفكاره، ووصف الدواء الذي يمكن به معالجة الأمور مُستخدمًا طريقته في التورية والتلاعب بالألفاظ للوصول إلى نقد الاحتلال بطريقة غير مباشرة"[xl]. ففي محاورة، جاءت بالعامية، تحت عنوان "تحية بلدي" بين شخص يُدعى حبيب (ح) والنديم (ن)، قدم النديم، وبشكل غير مباشر، شهادة على الوضع السياسي آنذاك..

"ح. شُفت لنا إيه في الدنيا لما جيت وإيه اللي رايح تعمله. ن. يا حبيبي أنا كنت مستخبي عشر سنين وطلعت رأيت الدنيا تغيرت والأحوال بقت جنس تاني فسيبني شوية أيام لما أشوف الخبر إيه والدنيا جرى فيها إيه وأشوف الناس وأعرف نكتتهم وإيه اللي في كيفهم وإيه اللي طلعوا فيه اليوم وبعدين أقولك على اللي في بالي. ح. إحنا ما لنا ومال الناس إحنا عاوزين توضبلنا كلمتين في السياسة وتورينا الدنيا رايح يجرى فيها إيه. ن. إحنا ما لنا ومال السياسة اللي توجع الراس

وتلخبط العقل. السياسة ليها ناس بالعنيه واحنا ناس بتوع نكت وتفريح وشبرقة وتسالي. والجريدة دي جريدة علم وتهذيب أخلاق ونكت مضحكة وحاجات مفرحة فإن كنت عاوز أتكلم وياك في تهذيب الأخلاق أنا وياك وإن كنت عاوز السياسة دورلك على واحد غيري. ح. يا شيخ إحنا عاوزين نشم ريحة السياسة يوم نشوف الدنيا إيه أحسن بنسمع عليها كلام أشكال وألوان والجرانيل خرفشت عقولنا وكل واحد بيقول لنا كلام على كيفه وإحنا ماشيين وراه زي العُمي ما إحنا عارفين أخرتها إيه. ن. السياسة يا حبيبي في أيدي رجال والرجال في أيد أفندينا وهوا وياهم يعرفوا شغلهم في حكومتهم. واللي علينا إننا نسمع ونتفرج وربنا يعينهم وأنت خليك في بر خليص. ح. دهدا يا سيدنا إحنا كنا بنقول أهو جه الواد الوطني اللي يعرف قيمة بلاده ومقامات الناس ودلوقت ينقي لنا القمحة من الشعيرة ويكشف لنا البر جيت أنت على رأي جيبتك يا عبد المعين تعيني لقيتك يا عبد المعين وحلان. تهذيب إيه وعلم إيه ما كلنا عُلما وكلنا أفندية وكلنا أُمرا بقى دول كلهم ما يعرفوش التهذيب فُضك بقى من العلم والفقهنة دي وقولنا كلمتين نتنعنش بهم حبة. ن. أما ما أنكرش يا واد إن بلادنا مليانا بالمهذبين اللي كل واحد منهم أجعص مني ألف مرة ولكن كل واحد منهم في حاله وشغلانتو اللي هوا فيها وأنا فاضي والفاضي يعمل قاضي. وقلت لك ألف مرة ملناش دعوا بالسياسة اللي مليانا بالقيل والقال وكل يوم نشوف فيها أشكال وألوان وكل أحوالها تغم وتقرف خل ملوكنا وأمرانا في اللي هما فيه أحسن الواحد منهم ما بيبات متهني يوم وسهرانين على شاننا وأنت أد نت داير تبرطع ما أنت عارف إن كنت بتهوي ولا بتدوي. ادعي لمولانا السلطان بالنصر وسيدنا الخديوي بالعز والإقبال وخليهم يعافرو في الناس اللي تعتعوا الساكن وربنا يعينهم. فإن كلامي وكلامك في السياسة ما فيه إلا لخبطة العقول وتشويش الأحوال فخليك كل طرف ونام وسط وخل السياسة لأهلها"[xli].

حققت (الأستاذ) رواجًا كبيرًا، إذ يبدو أنها راقت لكثيرين من القراء، فكانت توزع ما يقرب من ثلاثة آلاف نسخة من كل عدد[xlii]. ويقول أحمد سمير، صديق النديم، أنه "جاء فيها من دلائل الإعجاز ما لم يأت به أحد من قبله فأخذت من الشهرة العظمى ما لم تأخذه جريدة سواها وأثرت في أفكار الأمة على اختلاف نحلها تأثيرًا كاد يضطر كل قادر على القراءة أن يشترك فيها فبلغ ما يطبع منها أخيرًا نحو ثلاثة آلاف نسخة مع أن عمرها لم يطل أكثر من عشرة أشهر كأن كل عام من أعوام اختفائه يقابل شهرًا في مدة ظهوره"[xliii]. وحسب فيليب دي طرازى فإنه "بلغ (الأستاذ) من الشهرة ما لم تبلغه مجلة قبلها من التأثير الهائل في أفكار المصريين"[xliv].

(3- 3) توقف (الأستاذ)

كانت مجلة (الأستاذ) لعبد الله النديم في أول أمرها "صورة جديدة عن صحيفته الأولى (التنكيت والتبكيت)"[xlv]، إذ كانت تُعد امتدادًا لها "من حيث موضوعها وأسلوبها، فهي تعنى أكثر ما تعنى بنقد العيوب الاجتماعية في المجتمع المصري، وفيها مقال، أو نحو ذلك في شئون الإصلاح السياسي من وجهة عامة، ثم هي تُحرر باللغة العربية الفصحى في المقالات السياسية الإصلاحية، وباللغة العامية في الموضوعات الاجتماعية"[xlvi]، وأصبحت لهجتها ومقالاتها "في ذلك السبيل على نمط العروة الوثقى وامتدادًا لها"[xlvii]. وإن كان سامي عزيز يلحظ بعض الاختلاف بين الصحيفتين فيقول "كان النديم في (التنكيت والتبكيت) شديد الغيرة ذا حمية وطنية تجعله ينفر من الأجنبي نفورًا شديدًا، أما في (الأستاذ) فإنه كان لينًا بصيرًا مؤمنًا بالتطور مُعترفًا به، لا يكره أن تفتح النوافذ على أن يميز بنو الوطن بين الخبيث والطيب وأن يجتنبوا التقليد الأعمى"[xlviii].

ومع كل فقد تعرض النديم لهجوم بعض الصحف، وإطلاق الشائعات، فدافع عن نفسه وعن سياسة مجلته[xlix]. وكان لهجوم النديم على جريدة (المقطم) وأصحابها سببًا كافيًا لإغلاق مجلته[l]، إذ كانت (المقطم) معروفة بتأييدها للاحتلال البريطاني، وكانت من أبرز الصحف التي هاجمت النديم.

ويذهب الجميعي إلى أن نقده كان "من طرف خفي حتى وقعت أزمة الانقلاب الوزارى في يناير 1893 فكانت هذه الحادثة بمثابة نقطة تحول واضحة في حياة الأستاذ كما كانت الحد الفاصل بين حذر النديم في كتاباته وبين مناصرته للحركة الوطنية ومؤازرته للخديو عباس الثاني وإثارته للعواطف القومية ضد الاحتلال فبدأ يكتب مقالاته التي انتقد فيها الإنجليز علانية، ودافع عن الخديو والمصريين بألفاظ ملتهبة"[li].

وهنا يتفق المؤرخون على أن النديم اهتم في مجلته (الأستاذ) بمعالجة الكثير من الشئون الوطنية وغيرها من قضايا الإصلاح الاجتماعي، وأنه لم ينتقد الاحتلال البريطاني في أوائل أعداد مجلته بشكل علني، ثم أخذت لهجته مع الوقت تشتد شيئًا فشيئًا، حيث علت نغمته، وأخذ ينتقد سياسة الإنجليز في مصر، كما انتقد المبشرين المسيحيين وطرق التبشير، ومن جانب آخر فإنه أخذ يؤيد الخديوي عباس الثانى مُعلنًا تأييده لسياسته التي تناهض الاستعمار، ومن ثم قامت حرب مستترة بينه وبين (المقطم) التي تهاجم الخديوي وتؤيد السياسة الإنجليزية، بل امتدت الحرب بينه وبين الصحف الموالية للاحتلال داخل مصر وفي إنجلترا، واتهمه خصومه بأنه يثير التعصب والفتن في البلاد، بينما ساندته الصحف المؤيدة للحركة الوطنية، ولم يعجب ذلك المسئولين وأصحاب السلطة، خشية قيام ثورة جديدة، فطلب اللورد كرومر من الخديوي عباس الثاني نفيه من القطر وإلغاء مجلته، فترك النديم مصر[lii].

وبذلك تكون مجلة (الأستاذ) قد صدرت خلال الفترة من 24 أغسطس 1892م وحتى عددها الثاني والأربعين من السنة الأولى الصادر في 13 يونيو 1893م، أى أنها استمرت نحو عشرة أشهر.

كتب عبد الله النديم، في عددها الأخير، يعتذر للقراء عن احتجاب مجلة (الأستاذ)، والتي أصدرها من أجل تقديم "النصح للشرقيين عمومًا والمصريين خصوصًا"، موضحًا هجوم الصحف الموالية للاحتلال البريطاني عليه، حيث رمته بأنه متعصب للدين، على الرغم من أنه اهتم في مجلته بنقد بعض العادات التي استشرت بين الشرقيين، كما رمته تلك الصحف بأنه "ثوروي مهيج مع أنه لزم السكون والهدوء ودعا إليهما"، واهتم النديم بالدفاع عن نفسه وتفنيد تلك الاتهامات. وإن ذهب النديم- في ذات الوقت- إلى أنه مريض وأن الأطباء نصحوه بتغيير الهواء خارج القطر المصري "حتى يقوى ضعيفكم ويشفى مريضكم فيعود لخدمة وطنه وأهله وعلى ذلك فإني سأقضي فصل الصيف خارج البلاد.. ولا يأسفن أخ شرقي على احتجاب الأستاذ عنه مدة حتى يعود محرره يخطر في ثياب الصحة ولباس السلامة لعدم وجود من يقوم مقامه"، وختم مقاله ببيتي شعر قال فيهما:

أودعكم والله يعلم أننـــــــــي أحب لقاكم والخلود إليكـــم
وما عن قلى كان الرحيل وإنما دواع تبدت فالسلام عليكم[liii]

ولكن (الأستاذ) لم تعاود الصدور ثانية، ولم يعد عبد الله النديم إلى البلاد مرة أخرى، حيث توفي سنة 1896م في الآستانة بتركيا. وإن استطاع النديم عن طريق مجلته أن يشعل نار الحركة الوطنية المصرية من جديد وأن يؤثر في كثيرين من المصريين[liv]، فكانت (الأستاذ)

"هي الأستاذ لمصطفى كامل، تعلم منها الاتجاه والنغمة، وإن اختلفا من حيث الثقافة والأسلوب بحكم الزمن والأحداث والظروف"[lv]، فقد تلقف مصطفى كامل الراية من النديم إذ "تلقى دروسه الأولى في الوطنية وفي السياسة على يديه"[lvi]. ومن ثم فإن البعض يعتبر النديم واحدًا من الروابط القليلة بين الحركة العرابية ومصطفى كامل[lvii].

(4) (الأستاذ) بين الأدب ودعوة الإصلاح السياسي- الاجتماعي

عاد النديم من منفاه عام 1892م، وفوجئ بموجة من الانحلال الخلقي تسود البلاد، فنقد ذلك في أسلوب قوي وجرئ، واتهم الأوروبيين بتشجيعهم هذه الأمور ليسقط الشرق وتنحل أخلاقه، كما نقد مناهج التعليم، وخلوها من بث الروح القومية والعصبية المصرية، وشجع أبناء البلاد على إنشاء الجمعيات الخيرية التي تسد هذا النقص[lviii]. إذ كانت خطة النديم في كفاحه ضد الاستعمار ترمي إلى البدء بالمفاسد التي عمت المجتمع عقب الاحتلال[lix]. لذا كان الإصلاح الاجتماعي هو "الغرض الأول من أغراض النديم في مجلة (الأستاذ). ولذلك كتب فيه كثيرًا بحيث لا يكاد عدد من أعداد مجلته يخلو من بحث اجتماعي أو نقد خلقي، أو قصة لها هذا المغزى، أو حوار له هذه الغاية"[lx]، وإن تناول مع الوقت قضايا سياسية. فقد اهتمت (الأستاذ) في بداية صدورها "بموضوعات الإصلاح الاجتماعي والعمل على تهذيب الشعب وإصلاح عيوبه باعتبار ذلك هو الخطوة الأولى للنهضة والتقدم"[lxi]، ربما من منطلق أن الإصلاح الاجتماعي هو طريق النهوض بمصر وأبنائها الذين تأثروا بالاحتلال البريطاني. حيث اهتم عبد الله النديم بمواجهة الآفات التي انتابت المجتمع المصري، والتي أدت بدورها إلى تأخر الناس وتدهور أحوالهم وعدم مسايرتهم للتقدم، فتحدث النديم عنها مُبينًا مضارها وآثارها السلبية على الفرد والمجتمع ككل[lxii].

وقد أشار النديم، في معرض رده على مهاجميه، أن مجلته ما ظهرت "إلا للتهذيب والتأديب وإصلاح ما فسد من بعض الأخلاق والإرشاد إلى مكارم الأخلاق وإحياء الصناعة والزراعة والتجارة ومنع التخاذل والتضاغن الراجعين بأية أمة حلا بها القهقرى. ثم هو الوطني الذي لم يفتح ليكون لسانًا لأجنبي أو تضليلًا لشرقي وإنما فتح تحت رعاية الحكومة المصرية الجليلة ملحوظًا بعين نظارها الفخام مرموقًا بنظر مأموريها الكرام ليس لصاحبيه مسند ينسبان إليه إلا مسند سيدهما الخديوي الأفخم صاحب النعمة عليهما وولي أمرهما ومفيض إحسانه عليهما بالعفو عن أكبرهما وإرجاعه إلى وطنه تحت حمايته ورعايته ورجلان يقدران نعمة سيدهما حق قدرهما جديران بأن يجعلا حياتهما وقفًا على خدمة سيدهما وإذ قد عز عليهما الخدمة الذاتية فهما يخدمان الأمة المحاطة برعايته المحفوظة بعنايته لعلمهما أن خدمتها خدمة لجلالة مقامه السامي حفظه الله تعالى"[lxiii].

والواقع أن الاجتماعي قد التصق بالسياسي آنذاك، فكانت الكثير من الأمراض والمشكلات الاجتماعية تُمثل في حقيقتها انعكاسًا لحالة سياسية حلت بالبلاد، عقب الاحتلال البريطاني الذي وقع في سبتمبر 1882م. إن مصر، ومع الاحتلال البريطاني، اختلفت- وإلى حد كبير- عنها قبل الاحتلال، إذ جاء الإنجليز لا لفترة مؤقتة وإنما ليستقروا في مصر التي كانت بالنسبة للإمبراطورية البريطانية حلمًا قديمًا، طالما كان يراودها.

فرضت سلطات الاحتلال سيطرتها على واقع الحياة المصرية، فامتدت السيطرة البريطانية إلى نظارات الحربية والمالية والأشغال، وأصبح لكل نظارة (وزارة) مستشار بريطاني[lxiv]، ذلك أن الإنجليز ومنذ احتلالهم للبلاد قد رسموا سياستهم على أساس أن تظل

مصر من أملاكهم إلى الأبد، فوجهوا كل اهتمامهم إلى تكوين الشعب المصري تكوينًا يجعله خادمًا لمصالح الشعب الإنجليزي، على حد تعبير حسين مؤنس، وهو يضيف أن الإنجليز "قضوا على كل العناصر الوطنية والمعارضة، وسلموا إدارة البلاد إلى باشوات الشركس والألبان والأتراك، يعاونهم المستشارون الإنجليز، وجعلوا سلطان مصر موظفًا لديهم، وفتحوا أبواب البلاد على مصاريعها للأجانب، وتوسعوا في منحهم الامتيازات حتى تكون هذه الجاليات عمادًا من أعمدة وجودهم"[lxv]. واستدعت الحكومة البريطانية اللورد دوفرين Dufferin سفيرها في الآستانة- العاصمة العثمانية- للذهاب إلى مصر لوضع أسس الاحتلال البريطاني، فوصلها في 7 نوفمبر 1882م[lxvi]، وكانت مهمته الأساسية "تنظيم الحماية المقنعة على مصر"[lxvii]. إلا أنه لم يستقر في البلاد طويلًا حيث عاد إلى الآستانة في مايو 1883م، فاختارت السلطة البريطانية السير إفلن بارنج Sir Evelyn Baring (اللورد كرومر Lord Cromer فيما بعد) ليكون قنصلًا عامًا في مصر، وبالفعل فإنه أتى إلى البلاد في 11 سبتمبر 1883م[lxviii].

وإذا كان الخديوي هو الحاكم الشرعي وصاحب السلطة الشرعية في البلاد، فإن الحاكم الفعلي كان هو رجل بريطانيا الذي اغتصب حقوق الخديوي والحكومة، وكان هذا الرجل هو كرومر، أول معتمد سياسي بريطاني في مصر[lxix]، والذي تربع على عرش البلاد بطولها وعرضها لنحو أربع وعشرين سنة (1883- 1907م). وقد تمتع المعتمد البريطاني بسلطة مطلقة بشكل "لم تفلت من يديه شاردة ولا واردة من شئون مصر بأقسامها وإداراتها المختلفة باستثناء الأوربيين الذين احتموا وراء الامتيازات الأجنبية"[lxx]، حيث كان المعتمد البريطاني يزاول عمله تحت إشراف وزارة الخارجية البريطانية في لندن، يستشيرها في أغلب الأمور والقضايا، ويقدم لها وجهات نظره في الشئون المصرية المختلفة، كما كان يحكم البلاد من خلال مستشارين عُينوا في النظارات المصرية حتى ينفذوا سياساته في هذه النظارات[lxxi].

كان الظن أن يكون وجود الإنجليز في مصر مؤقتًا حتى يتم قمع ثورة العرابيين ويطمئن الخديوي توفيق على العرش، إلا أن الأحداث بعد ذلك قد دلت على أن انجلترا إنما كانت تقصد بتدخلها العسكرى في مصر إلى جعل احتلالها دائمًا، حيث عملت على بسط سيطرتها الحربية والإدارية والمالية، فقامت بإلغاء الجيش الوطني بحجة مساندته للعرابيين، وتم إنشاء جيش جديد ضعيف وهزيل يخلو من الروح الوطنية كما يخلو من القوة المادية والمعنوية، ويرأسه سردار إنجليزي ويتولى قيادته ضباط إنجليز، كما وضعت يدها على البوليس بتعيين قومندان بريطاني له، وألغت سلطات الاحتلال الإصلاحات العسكرية وكذا البحرية المصرية، وسيطرت تمامًا على المالية من خلال إلغاء الرقابة الثنائية وتعيين مستشار مالي بريطاني أوائل سنه 1883م، ومن ثم فقد كانت السنوات الأولى للاحتلال بمثابة سنوات لتثبيت أقدام الإنجليز في مصر[lxxii].

وحدث أن تضاءلت الروح الوطنية في النفوس، طوال السنوات الأولى من الاحتلال، حيث خلت البلاد من روح المقاومة، وكان سبيل النجاح في مناصب الحكم أو في الحياة الاجتماعية عامة لدى البعض "هو الولاء للاحتلال الأجنبي، والزراية بالمبادئ الوطنية وقلة الإخلاص للبلاد، ودرج الناس على هذه الحالة وألفوها، حتى عدوها كأنها حالة عادية وكأن الخروج عليها ضرب من السخف أو الجنون"[lxxiii].

ومن ثم فإنه لم يكن غريبًا أن نلمح انتقادًا من جانب النديم للاحتلال الإنجليزي في كل ما يكتب، بتركيزه أحيانًا على حوار الحياة الاجتماعية والتعاملات اليومية بين المواطنين، فكان ينتقد ويقدم النصيحة في الوقت نفسه. وكانت لغة بعض مقالات النديم في مجلة (الأستاذ) أقرب إلى

الأدب، إذ كان يكتب بأسلوب أدبي جذاب، لاسيما وأن النديم بالأساس رجل أديب، فاستخدم عناوين مقالات تحمل سجعًا، ونشر الشعر والزجل والقصة، كما استخدم السجع والبديع والاستعارة والتشبيه والاستشهاد. فقد "حمل النديم على عاتقه كثيرًا من شئون البلاد السياسية فكثيرًا ما عبرت نصوصه عن هذا، وإن كان قد صرح بتخليه عن السياسة.. إلا أن تناوله للقضايا السياسية جاء تحت أسماء مختلفة، منها الفكاهة والأدبيات، ومدارس البنين والبنات، والإجابة عن أسئلة بعض القراء، لكنه كتب ما أراد في غاية الخفاء نظرًا للظروف السياسية التي كانت تمر بها البلاد آنذاك"[lxxiv].

في العدد الأول من مجلته، وفي حوار له مع شخص يُدعى حبيب، دار بينهما بالعامية، أعلن النديم عن اهتمامه بمقاومة العيوب والأمراض الاجتماعية التي انتشرت بين المصريين آنذاك..

قال حبيب "طيب ما تهف لنا الجدعان دول بكلمتين سخنين يليقو لوشهم خليهم يتنبهوا ويقولوا راحت السكره وجت الفكره ويلتفتوا لأمورهم زي الناس ويشوفوا الأمم بتعمل إيه في بلادها. وإلا إن فضلنا على رأي المثل هات يا سدره ودي يا مدره ما يفضل الحال على ما هو عليه وتتعب أفكار حكامنا في الترتيب والنظام والأولاد دول دايرين في حل شعرهم واللي يدخل البلاد يقول أهم دول اللي فيها ويظلم الأمراء والعلماء وأهل المعارف وأعيان البلاد. اللي كل منهم يصح معلم سياسة وأوسطة تهذيب". النديم "قال إيمتا طلعت القصر قال إمبارح العصر. أنا لسا جاي من الغربه وبدي اشم نفسي شويه واسأل عن أحوال الجدعان دول واجتماعاتهم في الحانات والبير والبيوت التلفانه وكيفية كلامهم الموضه وأكلهم وشربهم ولبسهم واكتب لك في المعنى دا كتابة تؤدب العنتيل فيهم وتخلي اللي ما يشتري يتفرج. واخلي لك الواحد منهم يداري ما يتوارى لما يعرف إن النديم حبيب الإنسانية وعدو البهيمية رايح ينبه أفكار الأمراء والفضلاء على عيوب الأولاد اللي لا نفعوا طار ولا طبله لما أخلي الواحد منهم ما يلقى لو وش ينقلب عليه. وأخلي لك الحكومة تقول عفارم يا واد يا نديم يللي فتحت مدرسة تهذيب بجريدتك وجعلتها أجعص من البوليص السري في معرفة أخبار السكارى والحشاشين والصرامحة اللي سخمو وش المجد بهباب وضحكوا علينا الناس. احنا بطلنا الضرب بالكرباج وانت جيت تضرب بالكلام المؤلم اللي يتعتع الحجر. بس سيبني لما أروق حبتين وقول هات يا منى عيني. وياما قدامكم يا حجاج من الليالي الملاح. وديني دوقتك كلمتين من العينه اللي بدي أتكلم فيها يخلو كل من سمعهم يطرطق ودانه للي جي بعدهم. وإياك تكون الخدمة دي مقبولة عند أولاد بلدنا اللي أحب لهم كل خير وربنا ما يحرمنا منهم"[lxxv].

واللافت للنظر هو أن النديم قد "استخدم كل فنون الأدب من زجل وشعر، ومسرحية وقصة، ومقالة وخطابة، في أداء رسالته الهادفة إلى إيقاظ الوعي القومي وتعبئة الأمة للثورة، وإلى الإصلاح الاجتماعي والسياسي، ومكافحة التخلف السائد في عصره- واتخذ من قلمه ولسانه سلاحين ماضيين حارب بهما الجمود والرجعية والتخلف، والاحتلال والاستعمار والاستبداد- وتعرض لذلك للمطاردة والنفي والتشريد- ولم يسكته غير الموت في المنفى عقب المرض الوبيل"[lxxvi].

وفي مجلته، جمع النديم بين اللغة العربية الفصحى، إلى جانب الكتابة بالعامية، للوصول إلى أكبر عدد من القراء على مختلف مستوياتهم الثقافية والتعليمية، وهو ما نجح فيه إلى حد ليس بقليل. فقد قسم النديم الكتابة في مجلته إلى ثلاثة مستويات لتصل فائدتها إلى جميع طبقات الشعب،

وهي ذاتها الطريقة التي كان قد اتبعها في صحيفة (التنكيت والتبكيت)، فهناك أولًا: مقالات علمية وطنية كتبت بأسلوب رصين للمثقفين والمتعلمين من القراء وقصد بها أن تكون امتدادًا لمجلة (العروة الوثقى) التي أصدرها السيد جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده في باريس سنة 1886م، وهناك ثانيًا: مقالات كُتبت بأسلوب مبسط لأنصاف المتعلمين وتلاميذ المدارس وهي قريبة إلى العامية، وتحتوي على دروس للتلاميذ ترمي إلى تهذيب الأخلاق وتوسيع المدارك، بأسلوب بسيط لا هو بالرفيع المتعالي في الأسلوب ولا هو بالهابط إلى درجة العامة، ولكنه وسط بين هاتين الدرجتين ليقرأه أنصاف المتعلمين ويتثقفوا به، وهناك ثالثًا: مقالات ومحاورات باللهجة العامية التي يعرفها غالبية الشعب لتوضيح الأمور لهم في شكل حواري يستطيعون فهمه بهدف تهذيبهم وترقية أفكارهم[lxxvii].

ويُشير أبو بكر عبد العزيز[lxxviii]، إلى أن المستويات اللغوية في مجلة (الأستاذ) قد تنوعت على النحو التالي: أولًا: مستوى المثقفين وفيه اتسم المعجم اللغوي للنديم بالدقة في اختيار الألفاظ المعبرة عن مراده[lxxix]. ثانيًا: المستوى المتوسط وفيه استمد النديم معجمه اللغوي من عدة مصادر منها الحضارة الإسلامية والديانات الأخرى والواقع المصري كما استخدم الألفاظ الطبية[lxxx]. ثالثًا: المستوى الدارج وفيه اهتم النديم باستعمال الأمثال الشعبية وما في مستواها من التعبيرات الشائعة[lxxxi]، كما تخلى عن الكثير من القواعد النحوية[lxxxii]، واستمد ألفاظه من عدة مصادر منها الأمثال الشعبية والبيئة المصرية والواقع السياسي والاجتماعي[lxxxiii]. رابعًا: تداخل المستويات في النص الواحد ومن ذلك مثلًا إذا كان النص حوارًا بين شخصين أحدهما مثقف والآخر عامي[lxxxiv]. وبذلك استطاع النديم "أن يتصل بسواد الشعب المصري بجميع طبقاته"[lxxxv].

لقد نشر النديم عدة مقالات، باللغة العربية الفصحى في أسلوب راق ورصين للمثقفين والمتعلمين، تناولت قضايا شتى وموضوعات متنوعة دارت حول: الأخلاق والقيم والعادات والآداب- التعليم والمعارف- الوحدة الوطنية- حماية اللغة العربية- التربية- الأوضاع الصحفية- الرأي العام- التقدم- الآداب- الحث على التسامح والبعد عن التعصب (وبالأخص التعصب الديني)- الحقوق- مكافحة البدع.. وغيرها من القضايا والموضوعات. وكان لبعض تلك المقالات، الرصينة، طابع أدبي، ولبعضها الآخر طابع خطابي، حيث تُعد الخطابة جنسًا أو لونًا أدبيًا، فيه يتطلع مرسل الخطاب إلى خير المتلقي/ المستمع، ذلك الأخير الذي يستقبل الخطاب ويمنح ثقةً كبيرةً في المرسل، والخطابة على هذا النحو "ترمي إلى الخير، وتوحد الخطيب والمتلقي في لقاء هدفه القيم العليا، أو الانتصار الكبير، الذي إن مسح الخطاب عنه الغبار تجلى واتضح"[lxxxvi].
وكان عبد الله النديم يجيد الخطابة كما كان "يبحث عن مردود خطاب لفقه الحرية في زمن يضع الاستعمار فيه يده على الوطن، وإستراتيجية الخطاب هي جزء داخلي في إستراتيجية الفعل السياسي"[lxxxvii].

أما المقالات العامية فكانت أشبه بدروس عملية تناولت موضوعات شتى تهم الشعب، وكان يردفها بالدعوة للغة الفصحى، حتى يدرك ممن يقرأون العامية ما هم عليه من نقص فيتجهوا إلى الفصحى ويتركوا العامية تدريجيًا. فقد أدرك النديم أن "ضياع اللغة الأصلية سيحول اللغة المستعملة (العامية) إلى لغة طافية لا أصول لها ولا قواعد تستند عليها فيسهل اقتلاعها وإحلال لغة أخرى محلها، وكان الإنجليز في الوقت نفسه يحاولون نشر لغتهم بين فئات الشعب المصري، فتصبح النتيجة ضياع اللغة العربية الفصحى وانتشار العامية التي يسهل التخلص منها

وإحلال الإنجليزية محلها لغة للمصريين"[lxxxviii]. والواقع أن النديم قد استخدم العامية في كتابة المقالة الصحفية "لغرض إصلاحي، هو تهذيب العامة وتثقيفهم وإطلاعهم على أحوال البلاد وأحداثها، وكانت ظروف العامة وقتذاك تبرر له استخدام العامية في مثل هذا الغرض، إذ لم تكن هناك وسيلة للتفاهم معهم بعد أن حالت الأمية بينهم وبين الفصحى سوى استخدام العامية، وقد أقر قادة الإصلاح في عصره استخدام العامية في مثل هذا الغرض"[lxxxix]، ذلك أنه "كان يهدف إلى تثقيف العامة وتهذيبهم باللغة التي يفهمونها بعد أن حالت الأمية بينهم وبين التفاهم بالعربية الفصحى لغة الثقافة والتعليم"[xc].

وقد نجح النديم في استخدام العامية المصرية، وأجاد توظيفها، للوصول إلى أكبر عدد من القراء. حيث برع في كتابة المحاورات، والتي جاءت بالعامية غالبًا. إذ كان "أعظم ما في النديم إنما هو شعبيته وقوة حيويته وميله الشديد إلى الاجتماع بالناس، فهو رجل خالط الشعب في جميع الطبقات، فمرة يكون مع السفلة، وأخرى يكون مع العلية، وثالثة يكون مع التجار، ورابعة يكون مع الأدباء والعلماء، وخامسة مع الوزراء والأمراء، وهذه كلها خصال تنفع النفع كله في تكوين الأديب الاجتماعي- أو بعبارة أخرى في تكوين الصحافي"[xci]، ومن ثم فإننا نلمح في النديم "شخصية الأديب الشعبي الذي يكتب باللغة العامية ويستطيع أن يضفي على أسلوبه في هذه الحالة ما يسميه الأدباء باللون المحلي للعبارة"[xcii].

استخدم النديم في طرحه لبعض القضايا والموضوعات طريقة الحوار بين اثنين أو أكثر، في لون أدبي، شائق وجذاب، أشبه بقصة أو مشروع رواية أو مشهد مسرحي أو مسلسل درامي. وخلال الحوار يبدي النديم ما يعن له من آراء على لسان شخصياته، أو على لسانه إذا كان طرفًا في الحوار "ويُلاحظ أن النديم استطاع أن يُعطي للقارئ تصويرًا كاملًا للمشكلة المعالجة مُبينًا أبعادها وفي النهاية يُبدي رأيًا هو خلاصة هذا الحوار"[xciii]. وكان النديم قد بدأ هذا القالب التحريري في صحيفته الأولى (التنكيت والتبكيت)، ولما نجح نجاحًا كبيرًا فإنه أبقى عليه في صحيفته (الأستاذ)، إذ يكاد "لا يخلو عدد من أعداد (الأستاذ) من موضوع للنديم كتبه على شكل حوار"[xciv]، كما استعان في محاوراته بشخصيات من البيئة المصرية، راسمًا أشخاصها من البيئة القريبة منه، والتي يتوجه بمجلته لها. فلقد "تميزت مقالات النديم بأنها ليست كلها مجرد زجر ونواهي مما قد يبعث على ملل البعض بل اتخذ أكثرها شكل محادثة لطيفة تتميز بالواقعية في الأدب"[xcv]، حيث غرق عبد الله النديم، الأديب، وفي بعض الأحيان، في السياسة، وهو ما يُسميه البعض بـ (الواقعية السلبية)، فتكون الرؤية السياسية هي المسيطرة على الأحكام الأخرى وتشكل فاعليتها[xcvi]، ولم يكن هذا الأمر غريبًا على النديم لاسيما وأن ثقافته كانت بالأساس "ثقافة لغوية أدبية دينية في أكثرها"[xcvii].

وكانت مقالات النديم وقصائده وزجله "دفعة قوية للكتاب والشعراء والزجالين أقامتهم على طريق النهضة بهذه الفنون فقلدوه في أسلوبه المرسل ليساير الانفعال وينطلق مع العاطفة، وفي زجله الهادف الذي استخدمه في السياسة والثقافة والاجتماع"[xcviii]، فقد بعث له بعض القراء بمقالات لنشرها، قلدوه فيها، وتفاعلوا مع القضايا التي أثارها على صفحات مجلته[xcix]، ودارت كثير من هذه المقالات والأزجال حول مناقشة بعض العادات والقيم والسلوكيات إلى جانب انتقاد تقليد المصريين للأجانب.

(5) قضية الحفاظ على اللغة العربية

اهتم عبد الله النديم، وعلى نحو واضح، بقضية الحفاظ على اللغة العربية، والدعوة إلى الاهتمام بها. ففي مجلته (الأستاذ) استأنف النديم "مواقفه المشرفة من اللغة العربية الفصحى، التي أصبح القضاء عليها من أهم أهداف المستعمرين"[c]، حيث "حمل النديم عبء الدفاع عن اللغة العربية على صفحات (الأستاذ) بعد أن رأى محاولات الإنجليز للقضاء على لغة البلاد القومية وتشجيعهم للغة الإنجليزية بهدف تنشئة أجيال تلهج بلسانهم وتتشرب بروحهم، وبعد أن هاله أن يرى آثار موجة الفرنجة الجارفة التي أصابت البلاد تصل إليها"[ci]. لذا فإنه دافع عن اللغة العربية بقوة، فقد أدرك "أن سقوط اللغة العربية الفصحى لا يعني فقط سقوط الوطن والقضاء على مكانة الدين وإنما يعني سقوط الأمل في استعادة القيم الوطنية والدينية"[cii]، ومن ثم دافع النديم عن اللغة العربية، وقد دافع عنها بالفصحى والعامية على السواء.

في العدد الأول من مجلته، وفي حواره مع "حبيب"، قال النديم "أنا رايح أكلمك بالكلام البلدي اللي تعرفه وتفهمه فإنك نسيت لغتك الأصلية ومشيت على كيفك في الكلام"، وكانت إجابة حبيب "وأنا مالي قول للجماعه اللي علمونا اللي كنا في إيديهم زي الحتة العجينه وسابونا طلعنا زي العوام". النديم "يا خسارة على لغتنا العربية اللي عرف فضلها العدو قبل الحبيب ولفت الدنيا وما خلت ولا حتة إلا دخلتها بعلومها وفنونها وغرايبها. وجت الآخر وقعت في يد جماعه زينا لا تعلموها ولا حافظوا عليها. هيا دي عملا تنعمل حد يبقى لو لغة طنانه رنانه لها مدة ماشية على أحوالها وقواعدها الغريبة وتراكيبها البديعة ونجي إحنا نضيعها بالكلام الفارغ. يا ميت خسارة على لغتنا اللي ما هي لاقيه حد يحوشها". حبيب "انت رايح تقعد تنشف ريقنا وتقول لغتنا لغتنا موش الإنسان يدور مع الزمن ويتكلم بلغة الناس اللي وياه وزي ما تجي تجي". النديم "أهو دا الكلام الذي يغم على القلب. بقى لما تتكلم بلغة ضيوفك وكل من جه تاخد لك من لغته كلمتين حتى تركب لك لغة من هنا ومن هنا ما بقيت غريب في الديار وضيعت مجدك وشرفك. ويبقى كل واحد من الناس يعرف لغته وجنسيته وانت زي حمار السكه كل واحد من ركبك أهو صاحبك. هو دا التمدن اللي بتقولوا عليه. اخص علينا وعلى عقولنا الفارغه"[ciii]. والواقع أننا نلمح من هذا الحوار مبرر النديم في الكتابة بالعامية واضطراره لذلك، كما نلمح منه هجومًا على منظومة التعليم، وانتقاده دعاوى البعض بالتخلي عن اللغة العربية.

ولكن النديم كان يدافع عن الفصحى في مواجهة العامية، حيث نشرت (الأستاذ) تقول أنه "اجتمع المعلم حنفي وأبو دعموم ومرعي وحنيفة ولطيفة ودميانة وزبيدة ونبوية عند نديم وأنابوا المعلم حنفي ليتكلم عنهم فقال مرادنا تعمل لنا مدرسة في جرنالك تعلم الأخلاق اللطيفة والآداب الجميلة ماذا تقول يا حلو. ن. حبًا وكرامة ولكن المدرسة يلزم أن يكون كلامها بالعربي الصحيح ليس باللغة العامية. ح. ويمكن إننا ما نقدر نفهم الكلام العربي النحوي لأنه كلام صعب على الستات والناس أمثالنا. بقى أنت تريد تحرمنا من التعليم بكلامك. ن. لكم علي إني أخاطبكم بكلام يفهمه الطفل الصغير والرجل والمرأة من غير تعب ولا يحتاج لتفسير ولا لشيخ يقول لكم على معناه. ح. وإذا كنت تمشي مثل ما كنت ماشي ماذا يكون هو أحد خانقك على الكلام العادي. ن. إما أن أحدًا خانقني فإن ذلك ما حصل وإنما رأيت بعض المشتركين في الأستاذ أرسل محاورة بالكلام البلدي تراها مطبوعة في الملزمة الثالثة فخفت أن الكتابة تمشي بالبلدي فنحارب لغتنا العربية بجيشين جيش الدخيل الأجنبي وجيش اللغة العامية فلذا جمعتكم لأخبركم"[civ].

ولكن أمام إصرار البعض على استخدام العامية فإن النديم نزل على رغبة قرائه "واستمر يكتب للعامة في صحيفته قسمهم العامي الذي عودهم عليه، ولكن فكرة إغلاق باب العامية لم تفارقه منذ ذلك الحين"[cv]، ويُذكر هنا أن النديم نشر عدة مقالات، كتبها بالفصحى، أكد فيها أهمية الحفاظ على اللغة العربية وضرورة الاعتزاز بها[cvi].

(6) قضية تشجيع الاقتصاد المصري

إذا كانت السنوات الأولى للاحتلال قد شهدت انحلالًا عامًا، في الوطنية والأخلاق، فإنها شهدت أيضًا انحلالًا في حالة الشعب الاقتصادية والاجتماعية. حيث برزت عدة مشكلات اقتصادية منها محاربة الاحتلال للصناعة، وكأن مصر لا تصلح لأن تكون بلدًا صناعيًا، فعمل المحتل على أن تكون مصر بلدًا زراعيًا يقدم محاصيله الزراعية، وبالأخص محصول القطن، وعمل أيضًا على رعاية مصالح الأجانب الاقتصادية في مصر، خاصة الإنجليز منهم. وانتشرت بعض الأمراض الاجتماعية بين المصريين مثل الربا والميسر وحب الظهور والإسراف وتعاطى الخمور.. الخ، مما أثر ذلك على العمل والإنتاج، وزادت معه حوادث الإجرام والإخلال بالأمن العام[cvii].

ومن ثم انتقد عبد الله النديم تشجيع بعض المصريين للمنتجات الأجنبية، وعدم إقبال الأغنياء والقادرين ماليًا على إقامة المشروعات. ومن جانب آخر فإنه اهتم بمحاربة ظاهرة "التفرنج"، أي تقليد المصريين للأجانب في ملابسهم، مُبينًا أن بعض الملابس لا تُناسب المصريين لطبيعة المناخ في مصر، فضلًا عن آثارها الصحية. فلقد كان النديم واحدًا ممن هاجموا المتفرنجين، وظهر ذلك في بعض المقالات "التي كتبها قبيل الثورة العرابية، وفي أثنائها، ومن بعدها في الشهور القليلة التي أصدر فيها مجلته (الأستاذ)"[cviii]. إذ كان "أهم ما يميز النديم عن معظم المفكرين المصريين في التاريخ الحديث والمعاصر موقفه من المحاولات الأوروبية لغزو المجتمع المصري من الداخل بعد أن تم للأوروبيين الاحتلال العسكري والهيمنة السياسية"[cix].

قال النديم في حوار له مع حبيب "بقى بس إحنا اللي انكتب علينا التقليد زي القرود كل ما يشوفوا واحد يعمل حاجة يعملوا زيه. جماعه لبسوا منطلون واسع لبسنا زيهم وبعدين شفنا جماعه يلبسوا المقمط قوي ويمسكوا في ايدهم شوية شعر ينشوا بها فقلدناهم ولبسنا زيهم واحنا عارفين إن بلادنا حاره واللبس ده يحوش مرور الهوا على الجسم ويخلف أمراض الصدر وداء السل ووجع الكلى ويأخر الهضم ويحرك أمراض صعبة. وشوف أهل إسكندرية كانوا يلبسوا سدرية على صدرهم ملفوفه ودا لكون بلدهم فيها رطوبة تتسلط على السدر فوضعوا لهم لبس مخصوص يحوش الرطوبة عنهم. وأهل مصر كانوا يلبسوا الجبه والقفطان على شان الهوا يضرب فيهم من فوق لتحت إكمن بلادهم حاره. وأهل الصعيد كانوا يلبسوا العري الواسع جدًا إكمن الحرارة شديده عندهم فيوسعوا للهوا يدخل على جتتهم أحسن يتعفن الجلد بمنع الهوا عنه ويصبحوا عيانين بالأمراض الوحشة. وروح اسأل واحد زي عمك سالم باشا الحكيم أهو دا سيد الحكما وشوف يقول لك إيه على لبسنا القديم ومنفعته وعلى اللبس الأفرنكى ودواهيه الحره.. بقى بالله عليك إذا كان الواحد شايف ضرر إخوانه موش يقول لهم على اللي ينفع واللي يضر. دا حقهم يدعوا للأستاذ موش يزعلوا منه". حبيب "لكن يا سيدنا أنت مقصودك إيه مقصودك الناس ترجع تلبس زعابيط ولا قفاطين دا شيء مضى وراح لحاله إيش حالك اليوم". النديم "أنا سمعت من أفرنجي شتم البنطلون حتى قال إحنا زي أراجوز الإنسان عريان في الحقيقة وإن كان جلده

مستور ودي حاله تمرض. فإذا كان الأفرنجي عارف ضرر الملبوس وشناعته بقى أنت يا شرقي متعرفشي. على كدا إذا كان واحد يلبس فستان وطربوش بقصب ويمشي يغني في السكه تلبسوا زيه لأنه موضه على قولكم"[cx].

واشتكى المعلم حنفي، في حوار مع النديم، من منافسة المنتجات الأجنبية وإزاحتها للمنتجات المصرية، في كثير من المجالات، وأن البعض يفضل التعامل مع الأجنبي عن التعامل مع المصري "ابن البلد"، موضحًا أن المنتجات الأجنبية وإن كانت أرخص سعرًا إلا أنها أقل جودة، مما أثر على الكثير من الحرفيين المصريين وأوضاعهم الاقتصادية..

قال النديم "على كده عمك الأوسطى حسن الخياط فات الصنعة والحاج محمود الحريري فات عمايل القيطان والشريط والزراير وعمك يوسف ما بقاش بيغزل والمعلم علي فات النجارة والسيد درويش القصبجي قفل دكانه والجماعه اللي زي الحمصاني والهجين فضوها سيره وبقية إخوانا الصنايعية والتجار بقى حالهم عبره.. بقى العباره بقت على الحديده ما بقاش عندنا صنايعيه أبدًا دا ش يغم". المعلم حنفي "الحمد لله لسه الزبالين منا والحماره والشيالين والكيالين والخدامين والفعله ومساحين الجزم والبوابين وشوية عطارين على كام بتاع بفته على بعضش جزارين وشوية حدادين وخردجية وبياعين طعمية وكرشه وكحك وفول نابت وفجل وكرات ومسكه وبقمه وملانه وبرسيم على شوية عياشه وبياعين طواقي وكام صرماتي على كام نحاس وأنت تفهم الباقي يعني ما بقلناش إلا الحاجه الدقه. والدكاكين اللطيفه والبضايع العال كلها بتاعت الخواجات وهيا اللي ماشيه في البلد". النديم "طيب ما تشتروا من بضاعة الخواجات وتبيعوا في دكاكينكم زيهم". المعلم حنفي "اشترينا يا سيدي منهم وحطينا كمبيالات علينا وقعدنا ننش برده يفوت علينا ابن البلد ويفوتنا ويميل على الخواجه وتقول له ليه ما بتشتريش من ابن بلدك يقول لك بضاعة الخواجة عال وكلامو واحد ولا يعرفش الغش زي أولاد البلد. شوف دي الغفلة قال اللي يبيع لو أبو خمسة بعشره ما يعرفش الغش واللي بدو يكسب منه في الميه خمسه يبقى غشاش. وحياتك فضلت التجار تستنه البيع والشرا لما جه وقت الكمبيالة والمعامله مقصره راحت الخواجات وضعت ايدها على البيوت وطلعوا أصحابها التجار منها وصبح الواحد منا يقول يا حيط داريني وتقولي بيع بضاعة أفرنكي"[cxi].

وجرى حوار بين رجل وسيدة، سعيد وبخيته، دار حول الحرية والرق، وضرورة قيام الحكومة والأغنياء بإقامة مشروعات اقتصادية يعمل فيها أبناء البلد، مع تشجيع المصريين على شراء المنتج المصري، مع طرح بعض الأفكار المناسبة للقضاء على البطالة. ولعل النديم كان يقصد بذلك استقلال البلد اقتصاديًا عن الأجانب الذين يحصدون خيرات البلد ويتركون الفُتات لأبنائها ويدعون- رغم ذلك- أنهم ينهضون بهم.

كانت بخيته تفضل العمل كخادمة فهي تقول "يا ريتنا فضلنا عند أسيادنا كنا قاعدين مبسوطين ناكل ونشرب وننكسي أربعه وعشرين قيراط". سعيد "ولكن يا أختي كنا عبيد مذلولين وكانوا أسيادنا يضربونا ويعذبونا وأما دلوقت بقينا أحرار وزينا زي أسيادنا جاتهم داهية يا ما عملوا فينا". بخيته "صحيح إننا بقينا أحرار والحرية طيبه ولكن ما تدعيش على أسيادنا إحنا جينا من بلادنا زي البهائم وهما اللي علمونا الكلام والحديث وعلمونا النضافه والأكل والشرب واللبس وعدلوا لساننا بعد ما كان الواحد يتكلم كلام ما حدش يعرفه. كتر خيرهم وشكر الله فضلهم. ويعني يا سيدي هما كلهم كانوا بطالين أهم فيهم وفيهم. أنا كنت عند ستي زي بنتها وكان سيدي إذا جه يضربني تتخانق وياه وتخبيني منه وكان ايدي بإيديها في الأكل والشرب. يعني ما كانشي ناقص

الواحد منا إلا الحاجه دكهيه". سعيد "لكن يا أختي ما تفتكريش لما كان الواحد منا كل يوم عند سيد والجلابه يورونا العذاب أشكال وألوان".

واستمر الحوار بينهما على هذا النحو، سعيد يدافع عن الحرية وبخيته تدافع عن الخدمة عند "أسيادها" لأن العمل أفضل من البطالة، فقال سعيد "والله كلامك صحيح لو كانت الحكومة بدال ما تسيبنا بطالين تجمعنا وتعطينا أراضي بور من الأراضي الميرية في برية بلقاس وسيدي غازي والمندره وأراضي البحيرة الواسعه وتعطينا مواشي وآلات وتتمنهم علينا ولما يطلع المحصول نسدد المطلوب شيء فشيء كانت تحيي بنا أراضي كتير وتحيي أنفس كتير وسنه في سنه تعمر الأرض ويبقى فيها بلاد وتاخد من أولادنا عسكر ومن الصنايعيه ويركو وتضرب على الأراضي ضريبه زي ما بيعمل السلطان أنا سمعت إنه جاب الناس اللي طلعوا من بلادهم ودالهم أرض في حوران وفي الشوبك وفي البلقا وصرف لهم فلوس جابو بها بهايم وآلات وعمروا الأرض وبنوا فيها بلاد كتيره وصار ياخد منهم الخمس ويترك لهم الباقي حتى صبحوا ناس وكسبت الدولة بلاد وفلوس وبني آدم. فلو كنا نعمل زيهم تكسب الحكومة مكسب طيب وإحنا نلم بعضنا ونجوز بعض ونقعد متهنيين".

ويضيف في موضع آخر "لو كانوا الجماعه الأغنيا يعملوا جمعية تجاره ويجمعوا فلوس من بعضهم ويفتحوا لنا محلات شغل نشتغل فيها بالأجره وكمان أهل البلاد يساعدوهم ويشتروا الحاجه اللي نشتغلها كانت العباره تبقى معدن خالص. ولا لو كان الجماعه المقاولين يجمعونا ويعملونا فرق وكل فرقه لها شيخ وكل ما ياخدو مقاولة ترعه ولا عملية جسور أو قناطر يستعملونا في الأشغال من تحت ايدهم وإحنا يا رجاله نلم إخواتنا النسوان نجوزهم ونقعد بهم في حته كانت تبقى عال. وأما مسئلة الخدمة في البيوت دي صارت هزيان والخدامين كتير من البرابره والصعايده وأولاد البلد". ومن الغريب هنا هو أن يسمح "سعيد" بعمل "البرابره والصعايدة وأولاد البلد" في خدمة البيوت!! وهو ما قد يشير إلى أنه لا يرفض مهنة الخدمة في البيوت لكنه يقصد عملًا أهم هو إقامة المشروعات التي تستوعب أعدادًا كبيرة من العمال وتُساهم في تحقيق الاستقلال الاقتصادي.

وفي ختام الحوار قال سعيد "إحنا ننشر كلامنا دا في الأستاذ ونشوف أهل المروّه يعملوا لنا إيه إياك الناس المتقدمين والأغنيا يسعوا لنا في حاجه طيبه ونبقى زي الناس وربنا يجزيهم عنا خير"[cxii]. وكأن النديم يؤكد على أهمية مجلة (الأستاذ) ومكانتها بين القراء، إلى جانب رغبته في حفظ الملكية الفكرية لهذه الاقتراحات.

وانتقد المعلم حنفي (أبو محمود) والنديم، في حوار بينهما، بعض السلوكيات الاجتماعية الضارة مثل لعب القمار والسكر وتعاطي الحشيش وارتياد "البيوت التلفانة" وسوء التربية، ثم اتجه الحوار إلى أهمية إقامة الشركات والمشروعات، مع توجيه اللوم لأهل البلاد على عدم اهتمامهم بهذا الأمر.

قال المعلم حنفي "بقى الكلام يجر بعضه ولما فتحت الباب ده أنا رايح أقول لك على الكلام اللي حبلت منه ورايح يفرتك مرارتي. ادنت تقول على الصنايع والفقرا والناس الغلابا اللي زينا شفتش واحد قام وقال أي والله يا جماعه رايحين نفضل ساكتين لإيمته الدنيا كلها بتعمل شركات وفاوريقات وبتشتغل طيب وإحنا دايرين ننهز من هنا لهنا". النديم "هما رايحين يعملوا إيه ما هم معذورين يا أبو محمود دلوقت الحاجه كلها بتجي من بره حتى اللحمه بتجي مستويه في سناديق واللبن بيجي ناشف والهدوم بتجي مخيطه اللي يا شيخ حتى الصوف الغزل بتاع الزعابيط

والكتان الغزل بيجي مغزول من بره ما يبقاش حيلتنا حاجه بقى الجماعه بتوعنا رايحين يعملوا إيه في البلاوي دي". المعلم حنفي "بقى شوف يا سي نديم المفرط أولى بالخساره وقالوا في الأمثال يا فرعون ليه اتفرعنت قال ما لقيتش حد يردني هما لقوش حد من أهل البلاد عمل حاجه وقالولو عملت كده ليه ألا شافونا زي الأموات نطلع للحاجه بعينا ونصعب زي النسوان"، وضرب المعلم حنفي أمثلة على قيام الأجانب ببعض المشروعات وتحقيقهم ثراءً من ورائها وإغفال أهل البلاد لمثلها، ومن ذلك: وابور المياه- وابور النور- ملاحة أبو قير- ورشة كسفريت بالإسكندرية- صناعة الشمع- السمن الصناعي- الدخان الصناعي- مقاولات القناطر والترع والبحور والمباني الجسيمة- إحضار الآلات والأدوات اللازمة للميري- عربات الركوب الكبيرة. ويضيف حنفي "أقولك إيه وأعيد لك إيه ادنت بتنفخ في قربه مقطوعه والناس فاهمه إن كلامك يضحك ولو كان فيهم حساسه لا تنحررو شويه ألا الواحد فرحان بنفسه وقول الناس له حضرتك وسعادتك وسيادتك بالمظرطه الكدابه. وأنا جايلي إيه من عربية سي فلان وحنطور البك أنا بدي حاجه تبل ريق إخوانا الغلابه وتخليهم يشمو نفسهم شويه".

ولما سأله النديم "زي إيه كدا اللي بدك فيه"، قدم المعلم حنفي بعض المقترحات فقال "ورشة بولاق آهي موجوده ليه مايخدوهاش جماعه من الأغنيا ويشغلوها وليه ما يخدوش قد عشرة آلاف ولا خمس طاشر ألف فدان من أرض الفيوم ولا البراري ويربو فيها قد عشرين ألف راس غنم ينتفعوا بصوفهم للتجاره والصناعه في البلاد ويعملوا من اللبن سمن وجبنه يابس زي الأفرنج ويربحوا ربح عظيم ويأخذوا من نتاجهم ويبيعوا للجزارين ليه ما يعملوش شركه تعمل ورشه كبيره تشتغل الأصواف والحرايز والبصمه وتتعهد الحكومه بإنها تاخد كل ما يلزمها للعسكر والدواوين منهم وأمراء البلاد يفرشوا بيوتهم ويلبسوا من شغل بلادهم هيا الأفرنج بتضربنا على إيدنا وتقول الا تشتروا منا ما إحنا اللي نستاهل الضرب بالصرم. وترجع وتقول لي بلادنا وأهل بلدنا لو كانوا زي الناس كانوا يشوفوا الناس اللي بتهل عليهم من برازي المطر اللي تاجر واللي صانع واللي مرابي واللي سمسار واللي مقصوده مقصود عفريت واللي بيعملوا الورش والمعامل لو كانوا يتحركوا الا تكلم الواحد منهم يقول لك لو عملنا كدا تروح فلوسنا علينا ونصبح نطقر بالعصا ونقول يا ريت اللي جرى ما كان مع أنهم غلطانين". وذكر المعلم حنفي نموذجًا لشخص سكندرى يُدعى حسبو أفندى محمد صاحب ورشة لبيع وإصلاح وابورات وطرنبات وأدوات الوابورات، حيث حقق نجاحًا في مجاله وتعامل مع ورش الأفرنج في بلادهم[cxiii].

وحتى لا يقفل النديم باب الأمل قال "هوا إيه يا واد أنا منيش وياك في قلة الحيا والكلام أنا لسه مالي إيدى من الناس الطيبين وعارف إنهم بدهم يسعم ولكن عاوزين اللي يوريهم السكه وأنا رايح اتكلم لك ويا شوية مهندسين وأفندية من بتوع الصنائع وأشوف الطريقه اللي تخلصنا إيه ونعرضها على الأغنيا والأمراء على لسان الأستاذ ونشوف رايح يجرى إيه وحقا بعدها إن محدش اتحرك احط لك صابعي في الشق وأفضها سيره". وذكر المعلم حنفي بعض العيوب كالتكبر وحب السيطرة، وقال "فاللي بدو يعمل عمل من الأغنيا يدور على اللي يقوم به من المهندسين والصناع ويسلمو له ويجعل نفسه مع شركاه نفس واحده ويسلم الإدارة للي فيه اللياقه من أهل الشركة وإن كان فقير عن غيره لأن القصد المكسب واحيا الصنايع موش المظهر وأبويا وجدي فإن كان عندك ناس يقدروا على نفسهم ويعملو كده خليهم يقومو يحلو لباسهم ويورونا شغلهم وهما يصبحوا شمامه في البلاد وكل الناس يقولولهم عفارم عليكم. أدي اللي بدو يعمل

عمل ينفع موش تقول لي نعرض كلامنا على المهندسين هما المهندسين لقوش حد يقول لهم تعالم وقالو لايه. كنا الأول نقول دا مين رايح يروح بلاد برا ويجيب اللي إحنا عاوزينه ودلوقت عندنا ألوف من أولادنا اللي لفوا بلاد لفرنج وعرفوا مخارزها ولكن العين بصيره واليد قصيره". وهنا اختتم النديم المحاورة بقوله "انت با أبو محمود طورت النار في جتتي وإن قلت لك دلوقت كاني ولا ماني بلكي الحساب يخرم ويجي كلامك في محله ولكن أنا رايح اعرض كلامي على كل الناس ونشوف رايحين يجاوبونا بإيه وربنا يروق بال الأعيان ويهديهم الطريق المستقيم"[cxiv].

وفي حوار دار بين المعلم حنفي والسيد عفيفي، انتقد الأخير بعض أفكار (الأستاذ)، بينما دافع المعلم حنفي عن النديم ومجلته. أشار المعلم حنفي إلى عدد من التجار المصريين الناجحين الذين "مشيوا مشي الناس الطيبين.. دبروا أنفسهم وشدوا حيلهم وخدوا وعطوا ودخلوا في زوارق الجماعه البرانيين.. ومشيوا مع الناس بالحسنى والصداقه والأمانه.. ما يجيبوش إلا الحاجه العال والبضاعه النضيفه المضمونه.. ولا يعرفو غش ولا يجيبوش إلا البضاعه العال لما صبحوا بين أهل بلادهم زي الشمامه.. اشتغلوا وتوكلوا على الله.. اللي تركوا الكسل ولا عرفوش مسئلة المعاجين الملعونه دي والتفتوا لحالهم"، ويضيف "صحيح إن فيه بعض مغفلين من أولاد اليوم اللي يروح يقضي حاجته كلها من الغريب لكن يوم في يوم يرجعوا ويعرفوا إنهم غلطانين في العمايل دي وياخدوا حاجتهم من أولاد بلدهم مادام يلاقي الحاجه اللي رايح ياخدها من الخواجه موجوده عند ابن بلده ما هو يرجع ياخد منه بس ركهم على شوية كلام من الأستاذ تفوقهم من الغفلة دي وهما يرجعوا يتندموا أو يقولوا يا ريت اللي جرى ما كان".

وانتقد المعلم حنفي تعاطي البعض "المعاجين والحشيش والحلاوه المعسله والبلح والمربات المصنوعه بالدهنه دي كلها أمور بطاله ما حواليهاش إلا الجبن وقعاد الراجل زيو زي المره وبزياده علينا يا سيد عفيفي من الأمور المسخره دي بدنا نفتح عينينا ونشوف الدنيا بقا إزاي. انت منتش شايف الناس اللي فاتوا بلادهم وجم يجروا علينا بالحنجل والمنجل لما بقى حالنا عبره يا ترى دول موش دايرين يجروا على عيشتهم وتجارتهم وإحنا بس قاعدين نقول النصارى وحشين الافرنج غشاشين الخواجات مكارين وبدل ده ودا ما نجاهد إحنا كمان ونمشي مشي الرجاله لما ينعدل حالنا زيهم. إحنا بقينا حدوته في أحنكة الناس والداهيه إن كل من دخل البلاد يقول لنا يا فلاحين وإن شتم واحد يقول له امشي فلاح زي ما يقول للواحد يا حمار يا طور ودا كله من نومنا وخوفنا من الناس بسبب الحشيش اللي كسر قلبنا وخلانا ورا الناس".

وتساءل السيد عفيفي "طيب وليه الناس ما توريش بعضها السكه العدله خليهم يستقيموا ويمشوا في حالهم". المعلم حنفي "آهو الجرانيل نازله نازله طيبه والأستاذ كل يوم يقول لنا أشكال وألوان ويورينا طرق سهله بس ركك على كوني أحط إيدي في إيدك ونتفق على المشي في طريقه من اللي بيقول عليها". السيد عفيفي "بقى الكلام موش ليه ولك بس إحنا ويانا ناس طيبين كتير نشاورهم ونشوف إياك ربنا يهديهم ونفضها من التجرمه وقلة الحيا"، وانتقد عفيفي عداوة البعض للبعض والكذب وادعاء أحد أنه هو وحده العاقل، مؤكدًا أن لكل واحد فائدته واحتياج كل شخص للآخر وضرورة مساعدة الأخ لأخيه[cxv].

(7) قضية تدعيم الوحدة الوطنية

اهتم عبد الله النديم بقضية الوحدة الوطنية، حيث كتب مرارًا عن تلك الوحدة التي تجمع بين المسلمين والأقباط من أبناء مصر، مؤكدًا ضرورة التماسك والالتئام فيما بينهما، مُبينًا في

الوقت ذاته خطورة التناحر والانقسام، بل إنه امتد بفكرة الوحدة أيضًا لتكون بين المصريين والشوام.

إننا نتفق هنا مع رياض سوريال فيما يذهب إليه من أنه "كانت العلاقة بين الأقباط والمسلمين في القرن التاسع عشر تقوم على المودة والإخاء وقد يحدث فتور في العلاقات مثل ما يحدث بين أبناء أسرة واحدة ولكن سرعان ما يزول التوتر ويحل الوئام محل الخصام. وإذا تتبعنا العلاقات في القرن التاسع عشر نجدها علاقات حسنة بوجه عام. وإذا حدث فتور في العلاقات وحلت البغضاء محل الود والصفاء فيكون ذلك في الغالب راجعًا إلى التدخل الأجنبي وبث الدسائس والفتن، وقد تعرضت مصر منذ مطلع القرن التاسع عشر لحملات الأعداء"[cxvi]. فقد اعتمد المستعمر على تنفيذ مبدأ (فرق تسد) ذلك أنه "يخشى مواجهة أمة متحدة متكتلة فيحاول جاهدًا بث الفرقة والانقسام بين أبناء الوطن الواحد، فإذا حدث فتور في العلاقات بين أبناء مصر فإنما يكون في الغالب بتدخل العنصر الأجنبي سواء كان هذا التدخل من جانب العثمانيين أو الإنجليز"[cxvii].

وتقول إيريس حبيب المصري أن الإنجليز "قد دأبوا منذ وطئت أقدامهم أرضنا على الإيقاع بين القبط والمسلمين أولًا ثم بين القبط والقبط، والمسلمين والمسلمين. فقد راعهم أن يجدوا الألفة والتضامن بين أبناء مصر على اختلاف عقائدهم لأن هذه الألفة ستهدم عدوانهم. ولكي يفتحوا ثغرة وسط هذه الألفة استعانوا بعاملين: الأول عامل السياسة والثاني عامل الدين. ففي الناحية السياسية كانت مصر ترزح آنذاك تحت نظام موصوف بنظام الامتيازات. وهذا النظام معناه أن أي أجنبي في مقدوره أن يكسب من مال مصر ثروة طائلة دون أن يقف أمام قاض مصرى- أي أنه في مقدوره استغلال الأرض وأهلها وحكومتها من غير رقيب! فأعلن المستعمر بأن المصري الذي يقبل أن يكون قنصلًا مساعدًا في إقليمه لأية دولة أجنبية ينال لفوره الحق في أن يعيش وفقًا لنظام الامتيازات. ولا حاجة للقول بأن هذه الخطة استمالت عددًا من الرجال.

أما من الناحية الدينية فقد شايع دعاة التبشير المستعمر وأعلنوا بدورهم أن من ينضم إلى أية طائفة من طوائفهم سيتمتع هو أيضًا بنظام الامتيازات. وبالطبع انصب هذا الإغراء على القبط بالذات لأن المبشر في محاولته اقتناص بني الكنيسة المصرية الوطنية كان يؤكد لهم أنهم بانضمامهم إلى كنيسة (مودرن) لن ينكروا السيد المسيح، وهم بالإضافة إلى ذلك سينتفعون بمزايا الأوربيين والأمريكيين. وهنا أيضًا لا داعي إلى القول بأنهم وجدوا من تأثر بهذا الإغراء.

وبهذين العاملين أقام الإنجليز هوة بين المسلم المعتز بقوميته والمسلم المنحاز للمستعمر، كما أقاموا هوة بين القبطي المعتز بقوميته والقبطي الذي رضى بالانضمام إلى مشايعي الاستعمار. ولقد ظل الإنجليز يساندهم دعاة التبشير على خطة التفرقة طيلة فترة الاحتلال البريطاني"[cxviii].

ومن ثم استخدمت سلطات الاحتلال عددًا من الآليات لإجهاض أى تحرك ضدها، وكان في المقدمة فصل الأقباط عن المسلمين "والتقى هذا المسعى موضوعيًا مع نشاط الإرساليات ومع تدخلات سياسية للدول الغربية الكبرى وهي الدول التي ألقت أعلام القومية جانبًا في مرحلة الإمبريالية وجاءت إلى المشرق العربي تحت أعلام دينية. فقد رفع شعار حماية الكاثوليكية من قبل فرنسا. ورفعت روسيا القيصرية شعار (الجامعة الأرثوذكسية) وكان من مطالبها أن تتولى حماية الأرثوذكس في الإمبراطورية العثمانية. وجاءت الولايات المتحدة الأمريكية لتقوم بعمل تبشيري بنشر المذهب الإنجيلي (البروتستانتية)"[cxix]. ووصل الأمر في بعض الفترات إلى أن

المسلمين كانوا "يسيئون الظن بالأقباط ويتهمونهم بالوقوف بجانب الاحتلال إخوانهم في الدين. وفي الوقت نفسه كان الأقباط يسيئون الظن بالمسلمين ويتهمونهم بأنهم يتحينون الفرص للانتقام منهم"[cxx]، ومن جانب آخر اعتمدت سلطات الاحتلال على الوظائف في التفرقة بين المسلمين والأقباط[cxxi].

ويؤكد مصطفى الفقي أن الأقباط لم يشعروا بارتياح لفترة طويلة بعد الاحتلال البريطاني "وكان السبب الرئيسي هو الموقف المخيب للآمال الذي اتخذه البريطانيون، وخاصة كرومر، تجاه الأقباط- قبل ثورة 1919- بصفة خاصة، وكانت الفترة 1882 حتى حوالي 1919، فترة حاسمة في العلاقات بين المسلمين والأقباط، وكان هذا راجعًا إلى عاملين رئيسيين:- الطابع الإسلامي للحركة الوطنية المصرية، بقيادة الحزب الوطني، بعد إخفاق عرابي، عند نهاية القرن بصفة خاصة.. أما العامل الثاني- فكان التنافس الذي نشب بين المسلمين والأقباط حول التعيينات لمناصب الدولة، وخاصة عند بدء الاحتلال البريطاني"[cxxii].

وعلى أية حال فإن مصر لم تعدم من بعض المستنيرين ممن واجهوا دعاوى الفتنة، ومن ذلك أن عبد الله النديم قد اهتم بمناقشة العلاقة بين المسلمين والأقباط من مدخل الحياة اليومية المشتركة والعلاقات الاجتماعية بينهما، مؤكدًا قيمة الوحدة الوطنية وضرورة الحفاظ عليها وحمايتها، فضلًا عن احترام الأديان.

في حوار بين سيدتين، لطيفة ودميانة، دار حول مواجهة تعاطي الخمور، تطرق الحوار لمسألة الوحدة الوطنية والتماسك بين المصريين، ومن جانب آخر بين المصريين والشوام و"أولاد العرب".

قالت دميانة عن الأجانب "حأ أولي هما أشطر من رجالتنا في حاجه تملي ماسكين بعضهم ويحاموا لبعض تأدري تشتمي واحده طليانيه أُدام واحده فرنساويه ولا واحده نمساويه أُدام واحده روميه كانت تطلع عليك تاكلك ودا لكونهم يحبو منفعة بعض ولا يبينوش عيوب بعض وأما إحنا يا إبط ويا أولاد العرب زي زأزيء البركه كل واحد شوكته في ضهره ما حيلتنا ش إلا اطع الجره والإيل والآل وفلانه عملت وفلانه سوت". لطيفة "الحأ على رجالتنا هما أعدوا يخانؤ بعض ودا يطاعن في دا ودا يدخل تحت باط الخواجه ده ودا يسلط الحاكم على ده ودا يسعى في قطع عيش ده لما صبحوا زي الإمان اللي يأطعوا بعضهم ببعض هما دول ناس يختي دول يستاهلوا الكي على عينيهم بمحوير نار اللي ما حد منهم يوم بيطلع للخواجات اللي جم من بلاد برا لا فيدهم ولا فطرفهم وصبحوا منحاسين في الأطيان والأملاك وما هم عارفين يودو الفلوس فين تفوتي على قهوة لفرنج تلائيهم آعدين كلهم عليها دا فرنساوي ودا طلياني ودا إنكليزي وإحنا تلاقي الشوام في اهوه والإبط في اهوا والمسلمين في اهوا زي اللي متخانئين ويا بعض والنبي عمرهم إن فلحم ما داموا على دي الحال"..

دميانة "لأ. ولا ألتيش على الداهيه الكبيرة لما يدخل الواحد منهم في خدامه ويفضل يرفت اللي موش من جنسه ويخدم اللي من جنسه لما يخلي الجنس التاني بدو يشوف العمى ولا يشوفوشي يؤلش يا ولد كلنا أولاد حته واحده وزي متنفع ابن جنسك نفع ابن جنسك التاني لجل تبؤا كلمه واحده وتحطوا ايدكم على ايد بعض وتعمروا بلادكم زي بلاد لفرنج. ألا كل واحد بدو حبل ويخنق به صاحبه جاتهم ميله وحياة العدره ما داموا في دي الحال ويفضلوا يقطعوا في جرة بعض ما هم نافعين". لطيفة "يكونشي يا أم حنين إكمن فيهم مسلمين ونصاره". دميانة "يختي أدحنا والشوام نصاره أمال ما بنحبش بعضنا ليه. ما تؤليش مسلمين ونصاره أولي دا عمى ألب

وإلت بخت. يعني مفيش ناس منكم يا مسلمين دايرين تحت باط غيرهم وناس منا يا إبط ويا شوام دايرين تحت باط ناس افرنج طيب اسكتي أحسن إحنا على رأي المثل لا تعايرني ولا أعايرك الهم طايلني وطايلك"[cxxiii].

وفي باب (مدرسة البنين)، والذي خصصه النديم لتقديم النصح والإرشاد للبنين، وضع النديم بعض الأسس في العلاقة بين المواطنين وبعضهم البعض تتعلق بعدم التعدي على الغير والمحافظة على حقوق الآخرين. حيث أكد في حديثه للفتى حافظ على أهمية الصلاة، قال له "والأحسن أنك تتعلم الصلاة وتتوضأ وتصلي الصبح لتخرج من صغرك مواظبًا على الصلاة وكذلك رفيقك بطرس يلزمه ينظف نفسه ويصلي على حسب اعتقاده وقواعد دينه فإن الشخص الذي لا دين له لا ذمة له والإنسان إذا كان لا يخاف من نار ولا يطمع في جنة فإن القانون لا يمنعه من فعل ما يشتهي من قبيح ومليح وثمرة الأديان حفظ النفوس من الفجور والتعدي على الغير وحث الإنسان على السير المستقيم والمحافظة على حقوق أخيه وجاره ووطنيه"[cxxiv].

ونشرت (الأستاذ) محاورة دارت بين رجلين، عماره والزناتي، يُفهم منها معاني الاتحاد والترابط والتماسك الاجتماعي ونبذ الخلاف. حكى الزناتي عن خلاف بينه وبين عمه، فقد ورثا سويًا مائتي فدان، وبسبب الحاح وطمع زوجة الزناتي فإنه انفصل عن عمه واختلف معه حول بعض الأمور، ومع الوقت صارت بينهما عداوة وقضية تنظرها المحكمة، وتكلفا بسببها الكثير من المصاريف وباعا أغلب أرضهما.

قال عماره للزناتي "صحيح إنك تستاهل ضرب المراكيب بقى يا حمار ما كانشي فيك عقل لما قمت تطاعن في عمك اللي رباك وفضل يكدش عليك من هنا ومن هنا لما خلاك بني آدم هيا دي عمله تنعمل يا مجنون تطاوع المره وتخرب دارين على شانها. لما حكم عليك الوعد ما كنتش تشاور واحد عاقل انت ما شفتش العمد التقال اللي مسكو في بعض دا يقتل قتيل ويحطو على باب داره ودا يغرق زرع ده ودا يسلط الحكام على ده وداروا يرهنوا أطيانهم ويبحتروا في الفلوس لما صبحوا والفلاحين أحسن منهم والبعض منهم داير حول البلد طول النهار يرعى الكلاب بالنص وتكلم الواحد منهم برضه يقول لك أنا ابن فلان يخي يا ابن الحرام أبوك كان طنبه وعمده وفكاك مجالس وعاش طول عمره مستور ودواره مفتوح للرايح والجاي ومقامه عند الحكام زي مقام واحد باشا وانت طلعت زي عفاريت القياله فضلت تعفر وتدري لما ما خليت ولا بقيت وترجع تقول أبويا وجدي. أهو انت راخر ضيعت الفدانين بتوعك وخربت دار الرجل ورجعت تمص صوابعك ولا حصلت دار ولا مره ودا كله من جهلك وتربيتك الزفت لو كنت متربي صحيح وتعرف قيمة الطين والعيشة كنت فضلت تحت باط عمك سايب كلابها على ديابها وانت داير مرتاح تسرح غيطك على فرسك وخدامك وراك وترجع آخر النهار لدارك تلاقي الطبيخ مطبوخ والعيش مخبوز وكل شي معدن تاكل وتدب كرشك وتدخل وتحط باطك في باط مراتك وتنام متهني نابك كتير دلوقت وانت داير ما انت لاقي حاجة تنستر بها ولسه يا ما تشوف والله لربنا يخلص ذنب الراجل الغلبان دا منك لما يخليك ملطمه وتشحت الملح". الزناتي "أيوا ما بقاش إلا انت يا عماره لما تغمني بكلامك اللي زي الوحل ده إحنا ما قلنا نستاهل ضرب البراطيش اللي طاوعنا المره وأولاد الحرام ولكن رايح يجي منه إيه بقى العايط في الفيت نقصان م العقل"[cxxv].

وفي حوار بين النديم وحافظ، في باب "مدرسة البنين"، عن تعليم الوضوء والصلاة، تساءل حافظ "وهذه الأحكام تلزم بطرس ورحمين صاحبي"، وكان من الواضح أن حافظ مسلم

وبطرس مسيحي "قبطي" ورحمين "يهودي"، أجاب النديم قائلًا "هذه من أحكام ديننا الإسلامي وأما بطرس ورحمين فإن لكل منهما رئيسًا دينيًا يأخذ عنه أمور دينه ويعلمه الواجب عليه إنما النظافة الاعتيادية تلزمهما كما تلزمك فيجب عليهما تنظيف جسدهما في الحمام أو بالاغتسال في البيت وتنظيف ثيابهما لأجل حفظ صحتهما وعدم تضرر الناس منهما ولا تنس انسهما بالنظافة وحسن الثياب فإن النفس تسر بما تراه من حسن هيئة البدن والثياب وتنقبض بالوساخة والروائح الكريهة فالدين ليس بشرط في النظافة والتجمل بأحسن ما عند الإنسان عند خروجه إلى المجالس العامة ويلزمك أن تنبههما على ما يلزم من هذا القبيل فإنهما ابنا وطنك وإنسانان مثلك والدين لا يمنعك من نصح غيرك وإرشاده فيلزمك أن تحافظ على دواعي الألفة ما دمت في المجالس العامة فإذا جاء وقت العبادة ذهبت إلى المسجد وذهب كل إلى الكنيسة وبعد العبادة تعودون لتناول أشغالكم بلا تنافر ولا إضرار فإن الحقوق المدنية تقضي عليك بأمور كثيرة"[cxxvi].

وفي محاورة بين حفصة وبنتها سلمى، في باب "مدرسة البنات"، قدمت حفصه لابنتها بعض النصائح والإرشادات، وتساءلت سلمى "وحنونه يلزمها دا كله ولا ما يلزمهاش على شان أقول لها تبقى عارفه الواجب عليها للراجل". حفصة "شوفي يا سلمى يا بنتي كل اللي اعلمه لك من أمور البيت وترتيبه والواجب عليك للراجل واللازم لأولادك واللازم للبسك وفرشك يلزم تعليمه لحنونه فإنها زيها زيك بس نفترق بالدين انت مسلمه وهيا نصرانيه فاللي اعلمه لك من أمور دينك اعرفيه لوحدك وهيا اهيا بتتعلم أمور دينها من القسيس وأمها كمان بتعلمها على قد ما تعرف". سلمى "بقى يلزم تطهر هدوم جوزها زينا". حفصة "هيا ما هياش رايحه تغسل هدوم جوزها آهو يلزمها تنضفها طيب فإن الغسيل ما فيهشي نصرانيه ومسلمه دا واجب على كل واحد ينضف نفسه وإن كانت عندنا الحاجه تبقى نجسه وعندهم ما هياش نجسه كل حي ودينه وأما النضافه دي عموميه يا بنتي". سلمى "بس لما نقعد نتحدت ويا بعض هيا تحلف بالعدره وأنا احلف بالنبي أقوم أنغاظ منها". حفصة "تنغاظي ليه يا حبيبتي ما هو دينها كده وكل إنسان يحلف على قد دينه يعني انتي يا سلمى تعرفي النبي بتاعنا"، وقدمت حفصة لسلمى معلومات عن النبي (ص)، وقالت لها "حتى النصارى اللي كانوا يجوله ما كان يؤذي حد منهم ولا يعيب عليهم وكان يكلمهم باللسان الحلو والكلام الطيب وينبه على الناس ما حدش يؤذيهم"..

وقالت لها في موضع آخر "خليك عارفه صفات نبيك وأوعي تنسيها أحسن الواحده منا إن ما كانشي لها دين يلعب بها الشيطان في كل حاجه وإن كان حد يجيب سيرة الأنبيا التانيين قدامك اوعي تعيبي في واحد منهم أحسن كلهم خيرنا وبركتنا وأسيادنا. يوم من دول تقولك حنونه سيدنا عيسى تقومي تعيبي فيه بكلمه تكفري أحسن ده نبي عندنا زي سيدنا محمد وربنا نزل عليه كتاب اسمه الإنجيل وكان مشيه زي مشي النبي بتاعنا وكان لطيف يخاطب الناس باللي يعرفوه ويلاطفهم كتير قوي وعمره ما شتم حد ولا عمل حاجه تغضب ربنا ولحد ما رفعه ربنا للسما ما بطل الوعظ في الناس ولا نصيحتهم ولا رجع عن تعليمهم الأمور الطيبه فاللي يعيب فيه منا يا مسلمين يكفر". سلمى "وإذا كانت حنونه تعيب في النبي بتاعنا تكفر". حفصة "بقى شوفي إحنا عندنا كل الأنبيا على حق واللي يعيب في واحد منهم يكفر آهو سيدنا محمد زي سيدنا عيسى زي سيدنا موسى زي سيدنا إبراهيم زي غيره من الأنبيا ونؤمن بهم كلهم وهما بشقه اليهود يآمنوا بسيدنا موسى ولا يآمنوش بسيدنا عيسى ولا سيدنا محمد والنصارى يآمنوا بسيدنا عيسى ولا يآمنوش بسيدنا محمد آهو يا بنتي كل إنسان على دينه وليه انت تعيبي في دينها ولا هيا تعيب في دينك لا انتي رايحه تبقي نصرانيه ولا هيا رايحه تبقى مسلمه وبس تخسروا بعض وتصيروا

أعادي على قلة فايدة خليكي انت زي ما أعلمك وتملي اتكلموا في الخياطه وشغل الإبره والمنسج وحاجة البيت ولا تتكلموش في الديانه وربنا يهديك يا بنتي ويطعمك. روحي افتحي عينك وخليك ويا رفقاتك البنات بالأدب والحشمه أحسن دا الكمال ما فيش أحسن منه"[cxxvii].

ونظم النديم القصائد "مُحذرًا الشعب من صنائع الاستعمار الذين أحدثوا الفرقة بين أبناء الأمة"[cxxviii]، ومن ذلك أنه نشر قصيدة شعر بها نصائح للمصريين والشرقيين، وكان قد أجل نشرها بسبب انشغاله بظروف وفاة والده، فظن البعض أنه يدعو فيها إلى الثورة، حتى أن هؤلاء طلبوا من المطبعة الحصول عليها بمبلغ مالي أوصلوه إلى مائة جنيه!! أكد النديم في أبيات الشعر التي نشرها معاني الوحدة والإخاء والحق والمساواة والعدل والإنصاف، وذلك على الرغم من اختلاف الدين، كما تضمنت قصيدته مدحًا للسلطان عبد الحميد طالبًا منه سن المساواة- الاهتمام بالتربية والتعليم- تعمير البلاد بانتشار المعارف- إصلاح الأراضي وألا يعطي شبرًا للأجانب- بث رجال العلم لتعليم الدين في القرى- توحيد ضروب الحكم- معاقبة أهل الفساد- تقريب رجال الحق..، واهتم أيضًا بمدح الخديوي عباس. وكأنه يريد التأكيد على السلطة الشرعية للسلطان والخديوى.

قال النديم في قصيدته[cxxix]:

مذاهبكم شتى وكل بدينه قرير عيون لا يحوله النعر
فليس لكم إلا المواطن وحدة وليس لكم إلا عزائمكم مهر
خذوها بني الشرق الأثيل خطيبة تجود بنصح قد تضمنه الشعر
تحدث صدقًا عن عيان وتبتغي صلاحكم بالجد فهي لكم حبر
فكونوا كما كان الأُلى أسسوا لكم مواطن يحلو في مساكنها القر

ويقول أيضًا:

ونادوا بأن الشرق حر وأهله وسيان في المأوى التعمم والزنر
ولا تجعلوا حرية الدين ضلة وسيرا مع الأهوا فذاك هو الوزر
بل القصد أن نمشي على أصل ديننا فلا يتنحى نهي ولا ينتفي أمر
ولا تجعلوا التوحيد سوء تعصب على النزلا لو كان دينهم الكفر

وفي حوار بين حافظ ونجيب، دار بالفصحى، أكد النديم وحدة المصريين والسوريين من جهة، وتقدير المصريين للأجانب المقيمين في مصر من جهة أخرى، كما نفى تهمة التعصب عن المصريين عمومًا وعن المسلمين منهم خصوصًا..

حافظ "لقد نصحت ووعظت ولكننا بلينا بخلطاء يشوشون أفكارنا ويقبحون أعمالنا ويميتون هممنا فنشأ عن سعيهم السيء وقوف الأفكار في بعض مطالب الأستاذ". نجيب "إن عنيت بالخلطاء كل الأجانب من افرنج وسوريين وفرس وغيرهم فقد أخطأت ورميت الأبرياء بما يرمي به الجناة وإن عنيت فردًا أو أفرادًا فما ينبغي أن تلصق بهم رجال جنسهم وهم لك في الوطن شركاء ولإيضاح هذا الأمر أنبهك على أنه يوجد كثير من الأوروبيين والسوريين والفرس لهم الأملاك العظيمة والمزارع الكثيرة وقد اختلطوا بالتجار والفلاحين والمستخدمين وشاركوهم في كل عمل من أعمالهم فهم الآن في حكم المصري من حيث المصلحة العامة وإن امتاز كل فريق بتابعيته لدولة أخرى أو نسبته إلى وطن آخر وحيث أن المصلحة العامة تجمعهم مع جموع المصريين كان عليهم أن لا يسيئوا الظن بهم بسبب تهور بعض السفلة الرعاع وتعصب الأدنياء الوضعاء ألا يسمعون قول سيدنا موسى عليه السلام خطابًا للحق سبحانه "أتهلكنا بما فعل السفهاء

منا" على أننا نعلم أن في كل جنس الأمين والخائن فلا نؤاخذ هذه الجموع الأمينة بالخونة الذين حملتهم الفاقة على بيع مياه وجوههم سعيًا خلف ثروة يحصلونها أو وجاهة يدركونها ولا طريق لهم إلا السعاية بما يسود وجوههم ويرفع النعل الخلقة الملوثة عليهم قدرًا والغبي من يؤاخذ المصريين أو السوريين أو الأجانب بفعل سفلتهم بعد علمه بأن فعل الخائن لا يضر الأمين المخلص "وإن ليس للإنسان إلا ما سعى" على أن الروابط التي بين الوطني والمستوطن كثيرة وكلها تدعو لحفظ نظام الاجتماع وتوحيد المعاملة من غير نظر للجنس وأقوى روابط المصري بالسوري اتحاد التابعية في العثماني منهم والعهود الدولية في الحماية الذي يعطى حكم أتباع دولته الأصليين. فكل محب لحكومته من المصريين يلزمه تنفيذ أوامرها وحفظ عهودها وتأييدها بإجراء ما سنته من السير والمعاملة ومن سعى في مس حق من حقوق الذين تكفلت بالمحافظة عليهم فقد سعى في معاكستها وعصيان أوامرها فيجب علينا معاشر المصريين أن نعرف حقوق المعاهدات الدولية ونظهر مجد الأمة والحكومة بالقيام بما يؤيد ثقة أوروبا بنا ويكذب الأجراء وما نقلته الأخبار الكاذبة إلى الجرائد الأجنبية وهذا الذي يدعو إليه الأستاذ وينبه عليه وإن أرجف الأجراء بما ألجأهم إليه اشتعال نار الحسد في صدورهم وقد تنبهت الحكومة السنية لدسائسهم وعلمت ما وراء سعايتهم فلم تلتفت لمفترياتهم وأراجيفهم فإنها أنبه من أن تدخل عليها حيلة قوم يتجرون بالنفاق والأباطيل والأمة درست ما قدمه الأجراء من الدروس التضليلية فتحققوا تلونهم ونفاقهم وأعرضوا عنهم كل الإعراض حتى أن كثيرًا من أهليهم كرهوا رؤية ذواتهم لزرعهم الشحناء بينهم وبين أمة قضت الدهور في معاشرتهم بالحسنى وحسب المرء ذلة أن يبغضه أخوه ويقبح عمله من يسعى في مصلحته وهذه عبارة نصرفها في كل خائن مصريًا كان أو غير مصري".

وتساءل حافظ في موضع آخر قائلًا "إن بعض الأجانب الأجراء يقول أن المصريين متعصبون تعصبًا دينيًا ولا ندري لعبارته معنى فماذا أراد بها". نجيب "الوجود يكذب هذا القائل فإنه لا توجد أمة لينة الأخلاق لطيفة التعامل بعيدة عن التعصب مثل المصريين ولذلك يفتخر مولانا الخديوي المفخم بأنه يحكم أمة شأنها الهدو والسكون ومخالطة الناس بالمعروف وأما التعصب الديني فإنه لا يوجد إلا في أوروبا خصوصًا عند البروتستانت والفرير والجزويت وسأطلب من الأستاذ كتابة فصل يُبين فيه تساهل المسلمين وتعصب الغربيين بحقائق لا ينكرها عليها أكبر منافق يستر الحقائق بترهاته وهناك تعلم أن المصريين بل الشرقيين بريئون من التعصب وأنه خاصة من خواص أوروبا إن شاء الله"[cxxx].

(8) قضية انتقاد التعليم الأجنبي

ناقش النديم قضية التعليم الأجنبي في مصر، مُشيرًا إلى بعض سلبياته ومشكلاته، والتي ترجع في جانب منها إلى سياسة الاحتلال البريطاني التعليمية التي اتبعها في مصر، لاسيما وأن التعليم هو كيان الأمة، وعصب البلاد في حاضرها ومستقبلها ومؤشر مهم على نهضتها.

لذا فإن السياسة التعليمية البريطانية في مصر ارتكزت على عدة أسس منها: "نجلزة" الإدارة المصرية، والتقتير في تعليم المصريين، وقصر الغرض من التعليم على الإعداد للوظائف، ونشر الثقافة الإنجليزية، وتشكيل المناهج التعليمية لكي تلائم أغراض الاحتلال[cxxxi]. فقد اتبع الاحتلال سياسة تعليمية تقوم على تضييق التعليم عامة على المصريين[cxxxii]، ومن وسائله: تضييق ميزانيات التعليم بالنسبة إلى ميزانية الدولة العامة وإقفال المدارس وإلغاء المجانية وفرض المصروفات والتقتير في البعثات الخارجية والتضييق في إعداد المعلمين

اللازمين للتعليم[cxxxiii]، كما أن الاحتلال البريطاني لم يبذل أى مجهود فعلي في النهوض بالتعليم الفني سواء من حيث المناهج أو من حيث التوسع فيه[cxxxiv].

وعمل الاحتلال البريطاني على انكماش حركة التعليم بين المصريين، من خلال التركيز على المكاتب الأهلية (الكتاتيب) وحصر التعليم في نطاق مد الإدارة المصرية بحاجتها من الموظفين، أي تخريج موظفين حكوميين يعملون ما يُطلب منهم في خضوع وإذعان، وصرف الاهتمام عن الثقافة العامة، وحصر التعليم في أبناء الفئات الاجتماعية الميسورة من خلال جعله بمصروفات كاملة بعد أن كان مجانيًا أو بمصروفات جزئية، كما قامت خطة الاحتلال التعليمية أيضًا على إضعاف المؤثرات الفرنسية على نظام التعليم المصري، وكذلك إضعاف اللغة القومية (العربية) بجعل اللغة الإنجليزية لغة التعليم المصري[cxxxv]، ومن ثم فقد كان التعليم بالنسبة للمثقفين المصريين "معركة من معارك الحركة الوطنية اتخذت أشكالًا مختلفة" حسب محمد أنيس، ويضيف أنه "على هذا كانت مسألة التعليم تُشكل جانبًا من معركة المثقفين المصريين ضد الاحتلال"[cxxxvi].

وإذا كان الإنجليز قد حاولوا إحلال ثقافتهم في مصر، فإنهم لم يستطيعوا القضاء على الثقافة الفرنسية إلا في مدارس الحكومة بجعل الإنجليزية لغة أجنبية أولى والفرنسية لغة أجنبية ثانية، على عكس المدارس غير الحكومية، كما أنهم وإن كانوا قد فرضوا اللغة الإنجليزية كواسطة لتدريس المواد في جميع المراحل في بداية الإحتلال، فإن الوعي القومي والجهود الوطنية بعد ذلك قد أجبرتهم على إعادة اللغة العربية كلغة التدريس في المدارس الحكومية، استجابة لرغبة المصريين وجهود مثقفيهم الوطنية[cxxxvii]، وعمل الاحتلال على استخدام التعليم في تفتيت وحدة المجتمع وإثارة الخلافات أحيانًا بين المواطنين الأقباط والمسلمين، جاعلًا من التعليم مسرحًا لذلك الخلاف، وذلك من خلال تشجيعه لنشاط الإرساليات الدينية التعليمي ومساعدة الأجانب على إقامة المدارس الأجنبية المختلفة الجنسيات، حتى تتعدد في مصر الثقافات والألسن وتصبح وكأنها عدة أمم مختلفة[cxxxviii].

من هنا كان اهتمام عبد الله النديم في مجلته (الأستاذ) بقضية التعليم، وانتقاده للتعليم الأجنبي، وهو اهتمام يبدو أمامنا اهتمامًا مُبكرًا يعكس رؤية النديم الثاقبة وبعد نظره.

في حوار بين كامل وحافظ، طلب الأول من الثاني أن يعلمه الوضوء والصلاة مثلما تعلم من النديم، كما انتقد كامل تعليم الدين المسيحي للتلاميذ المسلمين في المدارس الأجنبية.

حافظ "أنت في أي مدرسة". كامل "في مدرسة أجنبية". حافظ "وماذا تتعلم هناك من الأديان". كامل "هم يعلمون التلامذة المسلمين والمسيحيين والموسويين الدين المسيحي فيلزموننا أن نصلي صلاتهم قبل الدخول في الدروس". حافظ "ولمَ لم تخبر أباك بذلك". كامل "أخبرته وسألني ماذا تقول في الصلاة فقلت له أقول أبونا الذي في السموات الخ ومع ذلك ما سأل عني بشي ومعي كثير من أبناء المسلمين وكل أهليهم في غفلة عن أمر الدين ولذا ترى كثيرًا من التلامذة الذين تربوا عندهم لا يقومون بشيء من شعائر الإسلام فلا يصلون ولا يصومون ولا يتطهرون من نجاسة أو جنابة ولا يفرقون بين الحلال والحرام". حافظ "أعوذ بالله من هذه الغفلة يا ترى المغفل من هؤلاء إذا نظر في المدرسة الأجنبية ورآها مبنية بناءً عظيمًا يتكلف مبلغًا عظيمًا وفيها من الأدوات ما صرف في كثير من الذهب ومن المعلمين ما يحتاجون لرواتب عظيمة ثم يرى أنهم يقبلون ابنه بأجرة لا تفي بالتعليم فضلًا عن الأكل والشرب ما الذي يتصوره في داعي إقدام الإفرنج على عمل كهذا ولا قرابة بينهم وبينه ولا مصاهرة ولا جامعة لغوية ولا

دينية ولا دولية ولا رابطة محبة ولا أن ذلك زاد عن حاجة بلادهم بل فيها من هم أحوج للتعليم منا أليس يرى بعد انقطاع هذه الروابط كلها إنها إشراك لنقل تلامذتنا من ديننا إلى دينهم. عجبًا لغفلة أبيك وأمثاله وأظن أن الحامل لهم تعلمك اللغة الأجنبية فلمَ لم تجتمع الأغنياء وتفتح مدرسة تعلم اللغة والدين ولغات الغير تحت الملاحظة والمراقبة لتحفظ أبناءها من الأخذ بدين الغير".

وتطرق الحديث إلى دور التعليم الأجنبي في تأكيد اختلاف المذاهب بين المسيحيين أنفسهم، من حيث نقل القبطي الأرثوذكسي إلى البروتستانتي والبروتستانتي إلى الجزويت (كاثوليك). حافظ "أخبرتني أنكم تتعلمون الصلاة المسيحية في المدرسة الأجنبية أظن أن شنودة مسرور بالتعليم الديني لأنه وجد من يعلمه". كامل "شنودة كان على المذهب الأرثوذكسي والآن نقله المعلمون إلى المذهب البروتستانتي وكذلك نخلة كان بروتستانتي والآن نقله الجزويت". حافظ "دعنا من هذا فإن كل أمة متعصبة لدينها وكل أهل مذهب متعصبون لمذهبهم فالذي يلزمك أن تحافظ على دينك وتخبر أباك بالحاصل في المدرسة من تعليمك غير دينك وتقول لشنودة يخبر والده أيضًا فإنكم إن سكتم على ذلك انتقل المسلم إلى الدين المسيحي من صغره ولا يعود ينفع فيه التعليم في الكبر كما هو مشاهد في المتعلمين على أيدي القسوس من أبناء الشرق. وانتقل القبطي من مذهب آبائه إلى مذاهب الأجانب الذين يصطادونه بالدين ويحصل التفريق في طائفتهم التي قضت القرون الطويلة وهي على مشية واحدة فلا يفرق كلمتها ويصيرها أحزابًا إلا تعصبها للمذهب فبعد أن كنا نراهم مجتمعين في المجالس والكنائس نراهم موزعين حول الأفكار المذهبية فليس هناك حبل متين تقاد به الأمم غير الدين".

واهتم النديم بالتأكيد على قيمة الوحدة الوطنية، على لسان شخوصه، حيث تساءل كامل "وإذا اختلف شنودة ونخلة ماذا يضرني وأنا مسلم وهما مسيحيان". حافظ "الأقباط مسيحيون لكنهم أبناء وطنك فيلزمك أن تفرح بانتظامهم لكونه حجابًا بينك وبين الفشل وتغتم لتفرقهم لكونه سببًا لأمور لا يسعها عقلك الآن ووحدة الوطنية تلزمك بالمحافظة على ودادهم والالتئام معهم فإذا وقع نفور بينهم غضب شنودة من زيارتك نخلة وتكدر نخلة من مشيك مع شنودة وإن هجرت الاثنين فقد أحدثت نفرة جديدة بين الطائفتين وهذا الذي أخشاه من تفريق كلمتهم فضلًا عن ذلك فإن الأجنبي يفرح بهذا التفريق فإن غايته أن تتبدد وحدات الشرق الاجتماعية وتصير أجزاءً متنافرة فيجب عليك أن تحافظ على وحدة الوطنية وتستجلب قلوب جميع الوطنيين سواء كانوا مسلمين أو مسيحيين أو إسرائيليين وتلزموا السكون في سيركم ولا تتعرضوا لما يوجب النفرة أو يحدث فتنة في البلاد فإننا أحوج الناس إلى الهدو والبعد عن الفتن"[cxxxix].

وفي عدد تال ذكر النديم أنه "اجتمع فاضل من المصريين بصديق له وسأله عن ولده فقال له أنه بمدارس الجزويت بالشام فقال له أضعت ولدك وألجأته إلى الخروج من دينك فإني دخلت تلك المدارس ورأيت الدروس التي تُعطى لأبناء المسلمين هناك فوجدتها كلها مسيحية ووجدتهم يلزمونهم بالصلاة مع أبناء المسيحيين فتنبه الرجل وأرسل استحضر ولده فوجده مسيحي الاعتقاد أفرنجي الطباع فأرسله إلى المدرسة التوفيقية ليتمم تعليمه فيها وفي أثناء وجوده بمصر جاءته مكاتبة من المدرسة اليسوعية يستفهمون بها عن عقيدته وما صار إليه بعد مفارقتهم ومنها قولهم (إننا طلبنا منك صورتك فلم ترسلها ومن هذا علمنا أنك بقيت على الإسلام فإن المسلمين يرون تحريم الصور وقد أضعت تعاليمنا ونصائحنا التي أعطيناها لك مدة الخمس سنين التي أقمتها عندنا وهذا كان منك غشًا حيث كنت تظهر لنا التنصر واتباعك نصائحنا وتخفي الإسلام في باطنك فنحن ننتظر منك إرسال الصورة والإفادة عن عقيدتك وإلا غضب عليك

المسيح الذي تركت دينه بعد أن اعتنقته وتعلمت قواعده وإياك أن تعود لدينك بعد أن أقمت خمس سنين تدين بدين المسيح)"..

وتُعلق المجلة بقولها أنه "في الجواب كلام طويل من هذا القبيل وهذه طريقة كل مدرسة أجنبية لا تخالف الواحدة فيها الأخرى فليعلم المسلمون الذين يرسلون أبناءهم إلى مدارس الأجانب أنهم سعوا في إخراجهم من دينهم ونصروهم بأنفسهم فعليهم الإثم والوزر في كل خطوة يخطوها الولد إلى المدرسة وسيعاقبون على ذلك بغضب الله وتعذيبه يوم يسأل كل واحد منهم عن هذا السعي القبيح- ومع هذا لا نسمع من الأوربيين إلا قولهم أن المسلمين متعصبون تعصبًا دينيًا فأي تعصب عند قوم لا يحافظون على دينهم في أبناءهم فضلًا عن التعصب إليه وأي حرية تدعيها أوروبا بعد إلزامهم أبناء المسلمين بالتنصر والأخذ بدينهم رغم أنوفهم ولكن لجهل المسلمين هذه الحقائق بما تنشره عليهم الجرائد الكاذبة من حرية الأديان في أوروبا وعدم تعصبها لدينها أرسلوا أبناءهم لتلك المدارس وكفوا عن التكلم في دينهم فرارًا من نسبة التعصب إليهم أما وقد انكشفت لهم الحقائق فنحن ننبه كل والد ولد في مدرسة أجنبية أنه خرج من دينه وإن ألزمهم القسوس بإنكار ذلك إن سئل عنه لخوفه منهم أو رغبته فيما يزينونه له من اللغة والألعاب والأخلاق الأجنبية فإن لم يتداركوهم وإلا فعليهم الوزر في الآخرة ولهم الذكر القبيح في الدنيا"[cxl].

(9) نتائج وخاتمة الدراسة

ناقشت الدراسة إشكالية العلاقة بين الأدب والإصلاح السياسي- الاجتماعي، من خلال تناول كتابات عبد الله النديم ذات الطابع الأدبي في مجلة (الأستاذ): 1892- 1893م. وكشفت الدراسة عن علاقة وطيدة بين الأدب والسياسة في الصحافة، من حيث اعتبار الأدب مجالًا للكفاح الوطني والنضال السياسي، والصحف وسيلة نشر مناسبة لتوصيل الأفكار للقراء، كما أن ثمة علاقة وثيقة بين مساحة الحرية وانتشار الاهتمامات الأدبية في الصحف.

وتوصلت الدراسة إلى أن النديم استخدم بعض الألوان الأدبية في التعبير عن أفكاره، ومناقشة بعض القضايا الوطنية، السياسية والاجتماعية، على صفحات (الأستاذ) والتي لم تكن "معرضًا للبحوث العلمية الخالصة، ولم تعن بالأدب لذاته بل كانت عنايتها به وباللغة العربية بباعث وطني صرف"[cxli]، إذ كانت "على تعدد اتجاهاتها ينتظمها هدف واحد هو تربية الشعور بالذات وحب الاستقلال ودفع المجتمع المصري في طريق النهضة متخلصًا من الفساد الداخلي والتسلط الأجنبي"[cxlii].

لقد غرق النديم- أحيانًا- في الأوضاع السياسية والاجتماعية، حيث الواقعية في الأدب، أو "الواقعية السلبية"، حين تسيطر الرؤية السياسية على الأحكام الأخرى وتشكل فاعليتها، "وعندما يُختزل الصراع في الأدب إلى صراع بين أفكار، فإن معيار الممارسة الأدبية يتراجع، ويحل الموقف السياسي للأديب محل عمله الأدبي، أى يُصبح تقييم الأعمال الأدبية هو تقييم المواقف السياسية لمنتجيها"[cxliii]، فقد تميز النديم في كل ما كتب بروح الأديب الثائر، سياسيًا واجتماعيًا، وكان يرى أن الإصلاح السياسي يجب أن يصحبه إصلاح اجتماعي.

كما كان النديم دائم الانتقاد للاحتلال الإنجليزي، بتركيزه أحيانًا على حوار الحياة الاجتماعية والتعاملات اليومية بين المواطنين، فقد جمع بين الإصلاحين السياسي والاجتماعي، وكانت لغة بعض مقالاته أقرب إلى الأدب، فهو يكتب بأسلوب أدبي جذاب وشائق، ومن ذلك أنه نشر الشعر والزجل والقصة، كما استخدم السجع والبديع والاستعارة والتشبيه والاستشهاد، لاسيما

وأن النديم كان أديبًا بالأساس وكانت ثقافته في جوهرها أدبية لغوية. كما نجح، وإلى حد ما، في أن يحول الأدب إلى أدب هادف يعالج قضايا وموضوعات السياسة والثقافة والإصلاح الاجتماعي[cxliv].

كتب النديم مقالاته باللغة العربية الفصحى، الموجهة للمثقفين والمتعلمين، بأسلوب خطابي أحيانًا، والتي تُعد لونًا أدبيًا. فهو- بتعبير عبد اللطيف حمزة- "كان أقدر الناس على الخطابة، ومن أقدرهم على الانغماس في المجتمع المصري بمختلف طبقاته، ومن أعلمهم بمحاسن هذا المجتمع وعيوبه"[cxlv]، و"كان رجلًا خطيبًا قبل كل شيء، وأنه لم يستطع أن يتخلص قط من أثار الخطابة في أسلوبه الصحفي الخالص"[cxlvi]، و"الخطابة هي كل صفاته، وأظهر سماته، والمسيطرة عليه من جميع جوانبه، لا يستطيع إفلاتًا منها، ولا يملك فكاكًا عنها، فإذا كتب مقالًا صحفيًا نسى أنه يكتب في صحيفة، وساقه الطبع إلى الكلام، فأطال فيه، حتى لكأنه يخطب في جمع حافل، وتستغرق خطبته ساعات متواصلة"[cxlvii]. فكان النديم على هذا النحو "أديبًا جريئًا ذائع الصيت، وكانت له من المواهب ما ليس لغيره من رجال مصر.. قوة في الخطابة وقوة في الكتابة وجرأة على الحكام، وقوة في البرهان، وقوة في البديهة"[cxlviii]. وقد نهج في أسلوبه نهجًا طريفًا لم يسبقه إليه أحد من الصحفيين فكان من رواد الكتابة الصحفية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر[cxlix].

لقد نجح النديم في استخدام العامية المصرية، وأجاد توظيفها، حيث برع في كتابة المحاورات، والتي جاءت بالعامية غالبًا، وكانت هذه الحوارات أشبه بقصة أو مشروع رواية أو مشهد مسرحي أو مسلسل درامي، لاسيما وأنه استخدم شخصياته من البيئة المصرية، للوصول إلى أكبر عدد من القراء. وقد ناقش على صفحات مجلته الكثير من القضايا السياسية والاجتماعية، منها: الحفاظ على اللغة العربية، وتشجيع الاقتصاد المصري، وتدعيم الوحدة الوطنية، وانتقاد التعليم الأجنبي.

وختامًا، فإن عبد الله النديم "مهما أُخذ عليه فقد كان عظيمًا!"[cl]. ذلك أنه "في سبيل الصحافة والوطن ما تحمل النديم من أذى، وما قاسى من أهوال، وما ذاق من تشريد واغتراب دونه كل عذاب في هذه الدنيا"[cli].

الهوامش :

[i] حسن عثمان، منهج البحث التاريخي، الطبعة الرابعة، القاهرة: دار المعارف، 1980م، ص 20.
[ii] عواطف عبد الرحمن، هموم الصحافة والصحفيين، مرجع سابق، ص ص 13- 14.
انظر أيضًا: محمد زيان عمر، مدخل إلى علم التاريخ، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2005م، ص ص 113- 139.
[iii] مرعي مدكور، صحافة الأدب في مصر، القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة- سلسلة: كتابات نقدية، 2002م، ص 44.
[iv] عبد اللطيف حمزة، مستقبل الصحافة، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2003م، ص ص 7- 8.
[v] المرجع السابق، ص 194.
[vi] مرعي مدكور، صحافة الأدب في مصر، مرجع سابق، ص 94.
[vii] أديب مروه، الصحافة العربية: نشأتها وتطورها، بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، 1961م، ص 27.
[viii] أحمد هيكل، الأدب القصصي والمسرحي في مصر من أعقاب ثورة 1919 إلى قيام الحرب الكبرى الثانية، الطبعة الرابعة، القاهرة: دار المعارف، 1983م، ص 21.
[ix] انظر: محمد صادق الكاشف، صحافة الصعيد المحلية ودورها في الحياة الأدبية 1882- 1952م، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1988م، ص ص 147- 154.
[x] انظر: عادل عبد الصمد، جرجي زيدان بعد قرن ونصف من الزمان، مجلة (الهلال)، يناير 2012م. وللمزيد حول نشأة الصحافة الأدبية وتطورها يمكن الرجوع إلى: علي صلاح الدين محمد طاهر شلش، تطور المجلات الأدبية في مصر ودورها في الأدب العربي الحديث من 1939 إلى 1952، رسالة دكتوراه، القاهرة: جامعة القاهرة، كلية الإعلام، قسم الصحافة، 1983م. عزة عوض بدر، المجلات الأدبية في مصر 1954-1981 دراسة تاريخية وفنية، رسالة دكتوراه، القاهرة: جامعة القاهرة، كلية الإعلام، قسم الصحافة، 1995م.
[xi] عبد اللطيف حمزة، مستقبل الصحافة، مرجع سابق، ص 19.
[xii] المرجع السابق، ص ص 11- 12.
[xiii] المرجع السابق، ص 22.
[xiv] انظر: محمد حسين هيكل، ثورة الأدب، القاهرة: دار المعارف، 1978م.
[xv] المرجع السابق، ص 15.
[xvi] عبد اللطيف حمزة، مستقبل الصحافة، مرجع سابق، ص 112.
[xvii] مرعي مدكور، صحافة الأدب في مصر، مرجع سابق، ص ص 58- 59.
[xviii] المرجع السابق، ص 90.
[xix] المرجع السابق، ص 10.
[xx] محمد حسين هيكل، ثورة الأدب، مرجع سابق، ص 17.
[xxi] مرعي مدكور، صحافة الأدب في مصر، مرجع سابق، ص 82.
[xxii] المرجع السابق، ص ص 269- 270.
[xxiii] المرجع السابق، ص ص 75- 76.

[xxiv] استعان الباحث هنا ببعض المراجع منها: عبد المنعم إبراهيم الدسوقي الجميعي، عبد الله النديم ودوره في الحركة السياسية والاجتماعية 1845- 1896، رسالة دكتوراه، جامعة عين شمس، كلية الآداب، قسم التاريخ، 1978م، ص ص 14- 33. أحمد أمين، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2009م، ص ص 212- 261. عبد الرحمن الرافعي، عصر إسماعيل، الجزء الأول، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2001م، ص 265. على الحديدي، عبد الله النديم: خطيب الوطنية، القاهرة: وزارة الثقافة والإرشاد القومي- المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر- سلسلة: أعلام العرب، 1962م. نقولا يوسف، أعلام من الإسكندرية، الجزء الثاني، القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة- سلسلة: ذاكرة الكتابة، 2001م، ص ص 236- 249.

- Arthur Goldschmidt Jr. and Robert Johnston, Historical Dictionary of Egypt, the American University in Cairo Press, 2004, p: 278.

[xxv] أديب مروه، الصحافة العربية: نشأتها وتطورها، مرجع سابق، ص 163.

[xxvi] عبد اللطيف حمزة، أدب المقالة الصحفية في مصر، الجزء الثاني، الطبعة الثانية، القاهرة: دار الفكر العربي، 1957م، ص 109. انظر أيضًا: لطيفة سالم، صحافة الثورة العرابية، ص 279، في: مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام، مجموعة مؤلفين، مصر للمصريين: مائة عام على الثورة العرابية، 1981م.

[xxvii] على الحديدي، عبد الله النديم: خطيب الوطنية، مرجع سابق، ص ص 8- 9. انظر أيضًا: علي عباس علي، عبد الله النديم صحافته وفكره، رسالة ماجستير، القاهرة: جامعة القاهرة، كلية الإعلام، قسم الصحافة، 1980م، ص ص 284- 349.

[xxviii] عبد اللطيف حمزة، أدب المقالة الصحفية في مصر، الجزء الثاني، مرجع سابق، ص 123.

[xxix] على الحديدي، عبد الله النديم: خطيب الوطنية، مرجع سابق، ص 83.

[xxx] المرجع السابق، ص 11.

[xxxi] إبراهيم عبده، أعلام الصحافة العربية، الطبعة الثانية، القاهرة: مكتبة الآداب، 1948م، ص 128.

[xxxii] علي عباس علي، عبد الله النديم صحافته وفكره، مصدر سابق، ص 325.

[xxxiii] انظر: عبد المنعم الجميعي، دراسة تحليلية، في: عبد العظيم رمضان (تقديم)، عبد المنعم الجميعي (دراسة تحليلية)، عبد الله النديم الأعداد الكاملة لمجلة الأستاذ، الجزء الأول، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب- مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر، 1994م، ص 5. علي الحديدى، عبد الله النديم: خطيب الوطنية، مرجع سابق، ص ص 328- 329.

[xxxiv] أحمد أمين، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، مرجع سابق، ص 246.

[xxxv] Afaf Lutfi Al- Sayyid Marsot, A History of Egypt: From the Arab Conquest to the Present Second Edition, Cambridge University Press, UK, 2009, O: 90.

[xxxvi] سليمان صالح، الشيخ علي يوسف وجريدة المؤيد: تاريخ الحركة الوطنية في ربع قرن، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب- سلسلة: تاريخ المصريين، 1990م، ص ص 70- 71.

[xxxvii] إبراهيم عبده، تطور الصحافة المصرية، ص 153.

[xxxviii] رامي عطا صديق، الصحافة المصرية في القرن التاسع عشر: تاريخها وافتتاحياتها، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، 2006م، ص 33.
[xxxix] إبراهيم عبده، تطور الصحافة المصرية 1798- 1981، الطبعة الرابعة، القاهرة: مؤسسة سجل العرب، 1982م، ص 155.
[xl] عبد المنعم الجميعي، دراسة تحليلية، مرجع سابق، ص 7.
[xli] (الأستاذ)، 24 أغسطس 1892م.
[xlii] انظر: (الأستاذ)، قل موتوا بغيظكم، الجزء السابع من السنة الأولى، 4 أكتوبر 1892م. (الأستاذ)، رجاء وإرجاء، الجزء التاسع عشر من السنة الأولى، 27 ديسمبر 1892م. (الأستاذ)، الجزء العشرون، 3 يناير 1893م. (الأستاذ)، تحية وسلام، الجزء الثاني والأربعون، 13 يونيو 1893م.
[xliii] أحمد سمير، ترجمة فقيد مصر السيد عبد الله النديم، ص 25، في: عبد الفتاح النديم، سلافة النديم في منتخبات السيد عبد الله النديم، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2008م.
[xliv] (الفيكونت) فيليب دي طرازي، تاريخ الصحافة العربية، الجزء الثالث، بيروت: المطبعة الأدبية، 1914م، ص 85.
[xlv] أديب مروه، الصحافة العربية: نشأتها وتطورها، مرجع سابق، ص 164.
[xlvi] أحمد أمين، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، مرجع سابق، ص 248.
[xlvii] علي الحديدى، عبد الله النديم: خطيب الوطنية، مرجع سابق، ص 355.
[xlviii] سامي عزيز، الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الإنجليزي، مرجع سابق، ص 322. انظر أيضًا: عبد اللطيف حمزة، أدب المقالة الصحفية في مصر، الجزء الثاني، مرجع سابق، ص 169.
[xlix] انظر: (الأستاذ)، قل موتوا بغيظكم، الجزء السابع من السنة الأولى، 4 أكتوبر 1892م. (الأستاذ)، الاتجاه إلى الأستاذ، الجزء الرابع والثلاثون من السنة الأولى، 11 أبريل 1893م. (الأستاذ)، صبر جميل، الجزء السابع والثلاثون من السنة الأولى، 9 مايو 1893م. (الأستاذ)، الجزء التاسع والثلاثون من السنة الأولى، 23 مايو 1893م. (الأستاذ)، الجزء التاسع والثلاثون من السنة الأولى، 23 مايو 1893م. (الأستاذ)، الجزء الأربعون من السنة الأولى، 30 مايو 1893م.
[l] سامي عزيز، الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الإنجليزي، مرجع سابق، ص 317. حول المعركة التي دارت بين صحيفتي (الأستاذ) و(المقطم) يمكن الرجوع إلى: علي عباس علي، عبد الله النديم صحافته وفكره، رسالة ماجستير، القاهرة: جامعة القاهرة، كلية الإعلام، قسم الصحافة، 1980م، ص ص 342- 347.
[li] عبد المنعم الجميعي، دراسة تحليلية، مرجع سابق، ص 21.
[lii] انظر: (الفيكونت) فيليب دي طرازي، تاريخ الصحافة العربية، الجزء الثالث، مرجع سابق، 1914م، ص 85. عبد اللطيف حمزة، قصة الصحافة العربية في مصر، مرجع سابق، ص 104. إبراهيم عبده، أعلام الصحافة العربية، الطبعة الثانية، القاهرة: مكتبة الآداب، 1948م، ص 129. أحمد أمين، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، مرجع سابق، ص 251. علي الحديدى،

عبد الله النديم: خطيب الوطنية، مرجع سابق، ص ص 331- 332 وص ص 350- 351. نقولا يوسف، أعلام من الإسكندرية، مرجع سابق، ص 244.

[liii] (الأستاذ)، تحية وسلام، الجزء الثاني والأربعون، 13 يونيو 1893م.

[liv] عبد اللطيف حمزة، قصة الصحافة العربية في مصر، مرجع سابق، ص ص 104- 105.

[lv] أحمد أمين، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، مرجع سابق، ص 259.

[lvi] محمد محمد حسين، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، القاهرة، الجزء الأول، الطبعة السابعة، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1984م، ص 172.

[lvii] Arthur Goldschmidt jr. and Robert Johnston, op. cit, p: 278.

للمزيد حول تأثير عبد الله النديم على مصطفى كامل من حيث تعليمه دروس الوطنية والتكوين الصحفي والخطابي، يمكن الرجوع إلى: عبد المنعم إبراهيم الدسوقي الجميعي، عبد الله النديم ودوره في الحركة السياسية والاجتماعية 1845- 1896، رسالة دكتوراه، جامعة عين شمس، كلية الآداب، قسم التاريخ، 1978م، ص ص 156- 177.

[lviii] أحمد أمين، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، مرجع سابق، ص 248.

[lix] علي الحديدى، عبد الله النديم: خطيب الوطنية، مرجع سابق، ص 333.

[lx] عبد اللطيف حمزة، أدب المقالة الصحفية في مصر، الجزء الثاني، مرجع سابق، ص 164.

[lxi] عواطف عبد الرحمن- نجوى كامل، الصحافة المصرية: دراسة تاريخية، القاهرة: الطوبجي للتجارة والطباعة والنشر، 2004م، ص 139.

[lxii] انظر: عبد المنعم إبراهيم الدسوقي الجميعي، عبد الله النديم ودوره في الحركة السياسية والاجتماعية 1845- 1896، مصدر سابق، ص ص 243- 265.

[lxiii] (الأستاذ)، قل موتوا بغيظكم، الجزء السابع من السنة الأولى، 4 أكتوبر 1892م.

[lxiv] يونان لبيب رزق، مصر تحت الهيمنة البريطانية (1882- 1918)، ص 380، في: يونان لبيب رزق (تقديم ومراجعة)، المرجع في تاريخ مصر الحديث والمعاصر، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2009م.

[lxv] حسين مؤنس، دراسات في ثورة 1919، القاهرة: دار المعارف- سلسة: اقرأ، 1976م، ص 48.

[lxvi] عبد الحميد البطريق، عصر محمد علي ونهضة مصر في القرن التاسع عشر (1805- 1883)، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب- سلسلة: تاريخ المصريين، 1999م، ص 228.

[lxvii] عبد الرحمن الرافعي، مصر والسودان في أوائل عهد الاحتلال، الطبعة الرابعة، القاهرة: دار المعارف، 1983م، ص 29.

[lxviii] المرجع السابق، ص ص 34- 35.

[lxix] أحمد زكريا الشلق، تطور مصر الحديثة: فصول من التاريخ السياسي والاجتماعي، القاهرة: مصر العربية للنشر والتوزيع، 2003م، ص 123.

[lxx] يونان لبيب رزق، مصر تحت الهيمنة البريطانية (1882- 1918)، مرجع سابق، ص ص 388- 389.

[lxxi] المرجع السابق، ص 390.

* ملحوظة: تولى منصب المعتمد البريطاني في مصر كل من:

- سير إيفلن بارنج "لورد كرومر" (Sir Evelyn Baring- Lord Cromer) من 1883م إلى 1907م.
- سير جون إلدون جورست (Sir John Eldon Gorst) من 1907م إلى 1911م.
- هربرت هوراشيو كيتشنر (Herbert Horatio Kitchener) من 1911م إلى 1914م.
انظر: Harry Ades, A Traveller's History of Egypt, Northampton: InterLink Books, 2007, p: 385.

[lxxii] للمزيد من المعلومات حول ممارسات سلطات الاحتلال البريطاني في الحياة المصرية خلال السنوات الأولى من الاحتلال، يمكن الرجوع إلى: عبد الرحمن الرافعي، مصر والسودان في أوائل عهد الاحتلال، مرجع سابق، ص ص 19- 46.

[lxxiii] المرجع السابق، ص ص 181- 182.

[lxxiv] أبو بكر عبد العزيز حسن الشيخ علي، المستويات اللغوية في مجلة الأستاذ تحرير عبد الله النديم: دراسة نصية، رسالة ماجستير، جامعة الزقازيق- فرع بنها، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، 2003م، ص 17.

[lxxv] (الأستاذ)، تحية بلدي، العدد الأول، 24 أغسطس 1892م.

[lxxvi] نقولا يوسف، أعلام من الإسكندرية، مرجع سابق، ص 247.

[lxxvii] انظر: عبد اللطيف حمزة، قصة الصحافة العربية في مصر، مرجع سابق، ص 104. عبد المنعم الجميعي، دراسة تحليلية، مرجع سابق، ص 6.

[lxxviii] أبو بكر عبد العزيز حسن الشيخ علي، المستويات اللغوية في مجلة الأستاذ تحرير عبد الله النديم: دراسة نصية، مصدر سابق.

[lxxix] المصدر السابق، ص 67.

[lxxx] المصدر السابق، ص 123.

[lxxxi] المصدر السابق، ص 164.

[lxxxii] المصدر السابق، ص 166.

[lxxxiii] المصدر السابق، ص 168.

[lxxxiv] المصدر السابق، ص 182.

[lxxxv] عبد المنعم الجميعي، دراسة تحليلية، مرجع سابق، ص 7.

[lxxxvi] فيصل دراج، الواقع والمثال: مساهمة في علاقة الأدب والسياسة، بيروت: دار الفكر الجديد، 1989م، ص ص 210- 211.

[lxxxvii] المرجع السابق، ص 217.

[lxxxviii] سامي عزيز، الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الإنجليزي، مرجع سابق، ص 295.

[lxxxix] نفوسه زكريا سعيد، عبد الله النديم بين الفصحى والعامية، الدار القومية للطباعة والنشر، 1966م، ص 94.

[xc] المرجع السابق، ص 119.

[xci] عبد اللطيف حمزة، أدب المقالة الصحفية في مصر، الجزء الثاني، مرجع سابق، ص 121.

[xcii] المرجع السابق، ص 190.

[xciii] علي عباس علي، عبد الله النديم صحافته وفكره، مصدر سابق، ص 373.
[xciv] المصدر السابق، ص 340.
[xcv] سامي عزيز، الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الإنجليزي، مرجع سابق، ص 327.
[xcvi] فيصل دراج، الواقع والمثال: مساهمة في علاقة الأدب والسياسة، مرجع سابق، ص 86.
[xcvii] عبد اللطيف حمزة، أدب المقالة الصحفية في مصر، مرجع سابق، ص 124.
[xcviii] علي الحديدى، عبد الله النديم: خطيب الوطنية، مرجع سابق، ص 348.
[xcix] انظر: (الأستاذ)، الجزء العاشر من السنة الأولى، 25 أكتوبر 1892م. (الأستاذ)، الجزء السادس عشر من السنة الأولى، 6 ديسمبر 1892م. (الأستاذ)، الجزء السادس من السنة الأولى، 27 سبتمبر 1982م. (الأستاذ)، الجزء الحادي عشر من السنة الأولى، 1 نوفمبر 1892م. (الأستاذ)، الجزء الثاني عشر من السنة الأولى، 8 نوفمبر 1892م. (الأستاذ)، الجزء الثاني عشر من السنة الأولى، 8 نوفمبر 1892م.
[c] نفوسه زكريا سعيد، عبد الله النديم بين الفصحى والعامية، مرجع سابق، ص 165.
[ci] عبد المنعم الجميعي، دراسة تحليلية، مرجع سابق، ص 10.
[cii] علي عباس علي، عبد الله النديم صحافته وفكره، مصدر سابق، ص 211.
[ciii] (الأستاذ)، تحية بلدي، العدد الأول، 24 أغسطس 1892م.
[civ] (الأستاذ)، عقد اتفاق، الجزء العاشر من السنة الأولى، 25 أكتوبر 1892م.
انظر أيضًا: (الأستاذ)، رأي جمهور من الأفاضل، الجزء الحادي عشر من السنة الأولى، 1 نوفمبر 1892م.
حيث اعترض عليه أحد أصدقائه ويدعى أحمد "في إقفال باب الكتابة بالعبارة العامية طالبًا لزوم تلك الطريقة"، وطالبه في رسالته بالاستمرار في الكتابة بالعامية لعامة الناس حتى يستفيدوا.
[cv] نفوسه زكريا سعيد، عبد الله النديم بين الفصحى والعامية، مرجع سابق، ص 212.
[cvi] انظر مثلًا: (الأستاذ)، "اللغة والإنشاء"، الجزء الثامن من السنة الأولى، 11 أكتوبر 1892م. (الأستاذ)، "باب اللغة"، الجزء العشرون من السنة الأولى، 1893م.
[cvii] انظر: عبد الرحمن الرافعي، مصر والسودان في أوائل عهد الاحتلال، مرجع سابق، ص ص 188- 196.
[cviii] محمد محمد حسين، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، الجزء الثاني، الطبعة السابعة، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1984م، ص 190.
[cix] علي عباس علي، عبد الله النديم صحافته وفكره، مصدر سابق، ص 227.
[cx] (الأستاذ)، فكاهات، الجزء الثاني من السنة الأولى، 30 أغسطس 1892م.
[cxi] (الأستاذ)، المعلم حنفي ونديم، الجزء الثالث من السنة الأولى، 6 سبتمبر 1892م.
[cxii] (الأستاذ)، سعيد وبخيته، الجزء الرابع من السنة الأولى، 13 سبتمبر 1892م.
[cxiii] أشاد النديم بورشة حسبو أفندي محمد بإسكندرية في عدد لاحق من المجلة، وتشجيع الخديوي عباس الثاني له بأن أسند له تنفيذ بعض الأعمال، وتمنى النديم له زيادة النجاح، وطلب من المواطنين أيضًا تشجيعه "بإرسال ما يحتاجون لتصليحه إليه تكثيرًا للفوائد الوطنية فإنها تساوي أعظم ورشة أوروباوية بمصر". انظر: (الأستاذ)، الجزء الأربعون من السنة الأولى، 30 مايو 1893م.

[cxiv] (الأستاذ)، المعلم حنفي ونديم، الجزء الخامس من السنة الأولى، 20 سبتمبر 1892م.
[cxv] (الأستاذ)، المعلم حنفي والسيد عفيفي، الجزء التاسع عشر من السنة الأولى، 27 ديسمبر 1892م.
[cxvi] رياض سوريال، المجتمع القبطى في مصر في (القرن 19)، القاهرة: مكتبة المحبة، 1984م، ص 256.
[cxvii] المرجع السابق، ص 266.
[cxviii] إيريس حبيب المصري، قصة الكنيسة القبطية، الجزء الخامس، القاهرة: مكتبة المحبة، 1984م، ص 44.
[cxix] أبو سيف يوسف، الأقباط والقومية العربية (دراسة استطلاعية)، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1987م، ص ص 112- 113.
[cxx] عبد الرحيم عبد الهادي علي أبو طالب، الفتنة الطائفية بين المسلمين والأقباط في مصر ودور إنجلترا في أحداثها، القاهرة: مكتبة نهضة الشرق- جامعة القاهرة، 1995م، ص 49.
[cxxi] المرجع السابق، ص 63.
[cxxii] مصطفى الفقي، الأقباط في السياسة المصرية: مكرم عبيد ودوره في الحركة الوطنية، القاهرة: دار الشروق، 1985م، ص 30.
[cxxiii] (الأستاذ)، لطيفة ودميانة، الجزء السابع من السنة الأولى، 4 أكتوبر 1892م.
[cxxiv] (الأستاذ)، مدرسة البنين: نديم وحافظ، الجزء الثالث عشر من السنة الأولى، 15 نوفمبر 1892م.
[cxxv] (الأستاذ)، عماره والزناتي، الجزء الرابع عشر من السنة الأولى، 22 نوفمبر 1892م.
[cxxvi] (الأستاذ)، مدرسة البنين: نديم وحافظ، الجزء الخامس عشر من السنة الأولى، 29 نوفمبر 1892م.
[cxxvii] (الأستاذ)، مدرسة البنات: حفصة وبنتها سلمى، الجزء الخامس عشر من السنة الأولى، 29 نوفمبر 1892م.
[cxxviii] على الحديدى، عبد الله النديم: خطيب الوطنية، مرجع سابق، ص 365.
[cxxix] (الأستاذ)، أغرب ما رؤى في مصر، الجزء الرابع والعشرون، 31 يناير 1893م.
[cxxx] (الأستاذ)، حافظ ونجيب، الجزء الثاني والثلاثون من السنة الأولى، 28 مارس 1893م.
[cxxxi] جرجس سلامة، أثر الاحتلال البريطاني في التعليم القومى في مصر (1882- 1922)، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1966م، ص 4.
[cxxxii] محمد أنيس، تطور المجتمع المصري من الإقطاع إلى ثورة 23 يوليو سنة 1952، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1985م، ص 187.
[cxxxiii] المرجع السابق، ص 111.
[cxxxiv] المرجع السابق، ص 298.
[cxxxv] انظر: رؤوف عباس حامد، تطور المجتمع المصري في القرن التاسع عشر، القاهرة: دار الثقافة العربية، د. ت، ص 164. أحمد زكريا الشلق، تطور مصر الحديثة: فصول من التاريخ السياسي والاجتماعي، القاهرة: مصر العربية للنشر والتوزيع، ص 126.

[cxxxvi] محمد أنيس، تطور المجتمع المصري من الإقطاع إلى ثورة 23 يوليو سنة 1952، مرجع سابق، ص 186.
[cxxxvii] جرجس سلامة ميخائيل، أثر الاحتلال البريطاني في التعليم القومى في مصر (1882-1922)، مرجع سابق، ص 256.
[cxxxviii] سعيد إسماعيل علي، دور التعليم المصري في النضال الوطنى (زمن الاحتلال البريطاني)، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب- سلسلة: تاريخ المصريين، 1995م، ص 133.
[cxxxix] (الأستاذ)، مدرسة البنين: كامل وحافظ، الجزء السابع عشر من السنة الأولى، 13 ديسمبر 1892م.
[cxl] (الأستاذ)، نتيجة التعليم الأجنبي، الجزء الثاني والعشرون من السنة الأولى، 17 يناير 1893م.
[cxli] سامي عزيز، الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الإنجليزي، مرجع سابق، ص 294.
[cxlii] المرجع السابق، ص 322.
[cxliii] فيصل دراج، الواقع والمثال: مساهمة في علاقة الأدب والسياسة، بيروت: دار الفكر الجديد، 1989م، ص 86.
[cxliv] علي الحديدي، عبد الله النديم: خطيب الوطنية، مرجع سابق، ص 6.
[cxlv] عبد اللطيف حمزة، مستقبل الصحافة، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2003، ص 150.
[cxlvi] عبد اللطيف حمزة، أدب المقالة الصحفية في مصر، الجزء الثاني، مرجع سابق، ص 186.
[cxlvii] المرجع السابق، ص 204.
[cxlviii] المرجع السابق، ص 119.
[cxlix] أديب مروه، الصحافة العربية: نشأتها وتطورها، مرجع سابق، ص 163.
[cl] أحمد أمين، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، مرجع سابق، ص 258.
[cli] عبد اللطيف حمزة، أدب المقالة الصحفية في مصر، الجزء الثاني، مرجع سابق، ص 119.